Tel : 3 72336- 73864

Regd. No. LW/NP 59

MAJALLAH ALBAAS-EL-ISLAMI (MONTHLY)

OCTOBER — NOVEMBER — 1996

السيرة النبوية

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

صدرت الطبعة الحادية عشرة

مزيدة منقحة

كطبعة خاصة بالهند

قام بطبعها :

المجمع الاسلامي العلمي

ص.ب: ١١٩ لكهنؤ (الهند)

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة باريك أوفست لكناؤ

من مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء - رئيس التحرير : سعيد الاعظمى

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد الحادي والأربعون

العدد العاشر رجب - شعبان ١٤١٧هـ - نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٦م

في هذا العدد

- إسطدى نبوءات القرآن العظيمة (نبوءة غلبة الروم)
- ركائز الفقه الدعوى عند سماحة العلامة السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى
- موجة الاعتداء إلى الاسلام وجهود الماوئين الفاشلة !
- الغزو الفكرى فى حياة المسلمين ، مخاطر دخوله و وسائل مقاومته
- أدب العالم فى درسه
- « هداية البيان فى تفسير القرآن »
- شروط النكاح و الاشتراط فيه
- لغة خطبة الجمعة
- قضية التعريب فى العصر الحديث
- أحلام الأبالسة !
- أمريكا و الاسلام !

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب: ٩١٣ لكهنؤ (الهند)

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : مأة و خمسون (١٥٠) روبية :

ثمن النسخة (١٥) روبية :

★ فى العالم العربى و فى جميع دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى

٣٦/ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم « البعث الاسلامى » (ALBAAS-EL-ISLAMI) و ذلك بالعنوان التالى :

مكتب البعث الاسلامى .
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص . ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C o NADWATUL-ULAMA
P. O. Box: 93, Lucknow
Pin-226 007 (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر بشر فيها .

حضرات أخواتنا القراء !

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

وبعد فأحمد الله سبحانه و تعالى على هذا التوفيق الغالى الذى أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة العقيدة و الفكر و فى مجال البعث الاسلامى ، بطريق مجلة « البعث الاسلامى » التى تستكمل بهذا العدد عامها الحادى و الأربعين ، راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم وبروح من الاستقامة و الصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة فى ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة و يتعرض لها المسلمون اليوم فى كل مكان نحو دينهم و شريعتهم ورسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها ويسر بها القارىء الكريم . ولا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، و يشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى نتحمله الآن ، ويسمح لنا بزيادة قليلة فى قيمة الاشتراكات .

و التحديات تتجدد كل يوم ، وهى تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، و لكم شكرنا و تقديرنا .

و الله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

العدد العاشر - المجلد الحادي والأربعون

رجب -شعبان ١٤١٧هـ

نوفمبر-ديسمبر ١٩٩٦م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المراسلات
بعنوان مكتب البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/O NADWATUL ULAMA
P.o. Box. 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

مفهوم ندوة العلماء

[تقوم فكرة ندوة العلماء ودعوتها في الدين والعقيدة على الدين الخالص ، النقي من الشوائب ، البعيد عن تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وعلى العودة في تلقيه وفهمه وتفسيره ، إلى منابعه الصافية الأولى ، ومصادره الصحيحة الأصيلة ، وفي العمل والسلوك ، على التمسك بلباب الدين ، والعمل بأحكامه والتحلي بحقيقته وروحه الربانية المشرقة الصافية ، وفي تصورها للتاريخ على أن خير العصور هو العصر الذي ظهر فيه الإسلام ، والجيل المثالي هو الجيل الذي نشأ في أحضان النبوة ، وتخرج في مدرسة القرآن والإيمان الأولى]

أبو الحسن علي الحسني الندوي

المحتويات

الافتتاحية :

• موجة الاهتداء إلى الإسلام
وجهود المناوئين الفاشلة ! ٣
سعيد الأعظمي الندوي

التوجيه الإسلامي :

• إحدى نبوءات القرآن العظيمة
(نبوءة غلبة الروم) ٩
سماحة العلامة الشيخ
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

• ركائز الفقه الدعوي
عند سماحة العلامة السيد
أبي الحسن علي الحسني الندوي ١٥
الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي

• الغزو الفكري في حياة المسلمين منافذ
دخوله ، ووسائل مقاومته ٣٠
الدكتور عمر يوسف حمزة

الدعوة الإسلامية :

• أدب العالم في درسه ٤١
الدكتور محمد بن سعد الشويعر

• " هداية البيان في تفسير القرآن" ٥١
الأستاذ عبد الخالق الندوي

الفقه الإسلامي والمشكلات الحديثة:

• شروط النكاح والاشتراط فيه ٦٢
الأستاذ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي

• لغة خطبة الجمعة ٧٢
فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني

دراسات وأبحاث :

• قضية التعريب في العصر الحديث ٧٧
الدكتور إي. كـ. أحمد كوتي

• أحلام الأبالسة ! ٨٧
الدكتور غريب جمعة

صور وأوضاع :

• أمريكا و الإسلام ! ٩٢
الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي

في رياض الشعر :

• يا أهل مكة ! ٩٦
الأستاذ محمد ضياء الدين الصابوني

إلى رحمة الله تعالى :

• فضيلة المفتي الشيخ محمود الحسن
في ذمة الله تعالى ٩٨
• الأستاذ السيد علي حسن فدعق
في ذمة الله تعالى ٩٩
قلم التحرير

الافتتاحية :

* * * *

موجة الاهتداء إلى الإسلام

وجهود المناوئين الفاشلة !

إن ما يمر ويجرى الآن من شريط الأحداث المؤلمة والوقائع الإرهابية بين دول المسلمين المتعددة الذي يتولاه بعض المعسكرات الكبرى ، ليس إلا نتيجة للتخوف الشديد مما إذا قدم الإسلام وساد المجتمعات البشرية في الغرب ، فإن نسبة المهتدين إلى دين الإسلام والمعتنقين بمنهجه للحياة في تزايد مستمر ، رغم جميع المحاولات الجادة والإجراءات الإرهابية التي تُمارس من قبل أعداء الإسلام المتربصين به الدوائر ، لصد تيار الاهتداء إلى الإسلام ودخول الناس فيه أفواجًا ، لقد دخلت دعوة الإسلام إلى عقر ديار الغرب المسيحي واليهودي وبدأت تقرع أبواب القلوب المتعطشة إلى دين الفطرة ، وتعرض الحياة النقية الصافية المطمئنة على الطبقة المثقفة الواعية التي سئمت من الحياة المادية المصطنعة ، وعافت حضارة الغرب التي حولت الإنسان إلى بهائم وسباع ضوار ، وقضت على جميع القيم الخلقية والمثل الإنسانية ، وقامت بتعرية الإنسان من لباس الحشمة والزينة .

سبق من رجال هذه الطبقة ممن عاشوا هذه الحضارة واكتووا بنارها ،

اعترافات بصدق الدين الإسلامي وانسجامه مع الطبيعة الإنسانية في جميع الشئون والمطالب الروحية والمادية ، على اختلاف الزمان والمكان ، لم يكن دخولهم في الإسلام نتيجة لفكر ارتجالي أو صنيعاً لظروف موقتة ، وإنما درسوه بشئ كثير من التعمق و وضعوه على محك النقد والاختبار من جميع زواياه البشرية والحضارية والعلمية ، وبعد تأنٍ وتفكير ، وتجرد عن جميع الملابسات ، والعوامل النفسية ، توصلوا إلى أن الإسلام هو منهج الحياة الذي يتكفل بالسعادة والهدوء والأمن والسلام ، وهو وحده الذي يساعد المرء على أداء مسئوليته وتمثيل دوره الشامل في حياة الفرد والجماعة ، وفي ضوء تعاليمه الإنسانية يتبوأ المسلم منصب القيادة العالمية ، وإنقاذ الإنسان من متاعب الحضارات وشقاء المدنية وتعاسة المقاييس الزائفة ، ذاك أن الإسلام يدعو إلى التفكير وتحكيم العقل فيما يضر الإنسان وما ينفعه ، والتمييز بين الخير والشر، أنه ليس دين إجبار أو إكراه ، حتى يكره الناس أن يكونوا مسلمين أو يجبرهم على الاعتراف بأنه منهج الحياة الوحيد الذي لا يساويه منهج آخر ، ولا فلسفة حياة مادية ، ﴿ لا إكراه في الدين * قد تبيّن الرشد من الغي ﴾ إنه يدعو الإنسان إلى تحليل واقعي في ضوء العلم والتجربة ، فإذا وافق ذلك الحق، وصادف المطلوب فلا مناص من اختياره كسفينة نجاة تحميه من الغرق ، وتضمن له الوصول إلى برّ الأمن والسلام .

من خلال هذه الدعوة للنظر في الإسلام وشريعته ، والحكم فيهما بالحياد، نهض كثير من مفكري الغرب ومثقفيه في مجال دراسة الإسلام ، وما يحمله للحياة من رسالة خاصة ، وما هو موقفه من الكون والأوضاع الاجتماعية ، ومن العلوم والصناعات ، والعالم المتغير الحديث ، فحالفهم التوفيق إلى الاعتقاد بكونه أكمل دين وأشمل منهج وأفضل طريق للوصول إلى السعادة الحقيقية ، ونعمة الأمن التي طالما تاه الإنسان في سبيل البحث عنها ، نذكر على سبيل المثال المفكر الغربي الأستاذ محمد أسد النمساوي (ليوبولد

فايس سابقًا) الذي درس الإسلام من زواياه الإنسانية كلها فوجده دينًا متكاملاً ينطوى على جميع المناحي الحيوية التي يحتاج إليها الإنسان في رحلة حياته، وتأكد أن الإسلام هو الحياة ، إنه يتحدث كرد على سؤال "لماذا اعتنقت الإسلام" ويقول :

" هنا يجب أن أعترف بأنني لا أعرف جوابًا شافيًا ، لم يكن الذي جذبني تعليمًا خاصًا من التعاليم ، بل ذلك البناء المجموع العجيب والمتراص بما لا نستطيع له تفسيرًا من تلك التعاليم الأخلاقية بالإضافة إلى منهاج الحياة العملية، ولا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها ، فإن الإسلام على ما يبدو لي ، بناء تام الصنعة ، وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضًا ويشد بعضها بعضًا ، فليس هناك شئ لا حاجة إليه ، وليس هنالك نقص في شئ ، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض -قد وضعت مواضعها- هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي ، وربما كانت مع هذا كله أيضًا مؤثرات أخرى يصعب عليّ الآن أن أحللها ، وبالإيجاز فقد كان ذلك قضية من قضايا الحب ، والحب يتألف من أشياء كثيرة من رغباتنا وتوحدنا ، ومن أهدافنا السامية وعثراتنا ، ومن قوتنا وضعفنا ، وكذلك كان شأني ، لقد هبط عليّ الإسلام كاللص الذي يهبط المنزل في جوف الليل ، ولكنه لا يشبه اللص لأنه هبط عليّ ليبقى إلى الأبد .

ومنذ ذلك الحين سعيت إلى أن أتعلم من الإسلام كل ما أقدر عليه : لقد درست القرآن الكريم وحديث الرسول الكريم ﷺ ، لقد درست لغة الإسلام وتاريخ الإسلام وكثيرًا مما كتب عنه أو كتب في الرد عليه ، وقد قضيت أكثر من خمس سنوات في الحجاز ونجد -وأكثر ذلك في المدينة- ليطمئن قلبي بشئ من البيئة الأصيلة للدين الذي قام النبي العربي بالدعوة إليه فيها ، وبما أن

الحجاز ملتقى المسلمين من جميع الأقطار فقد تمكنت من المقارنة بين أكثر وجهات النظر الدينية والاجتماعية التي تسود العالم الإسلامي في أيامنا ، هذه الدراسات والمقارنات خلقت في العقيدة الراسخة ، بأن الإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لا يزال – بالرغم من جميع العقبات التي خلقها تأخر المسلمين – أعظم قوة نهاضة بالهمم عرفها البشر ، وهكذا تجمعت رغباتي كلها منذ ذلك الحين حول مسألة بعثه من جديد " [الإسلام على مفترق الطرق]

وهذا السيد محمد عبد الله "دونالد ركويل" شاعر وناقد أدبي وصحافي وكاتب كبير من الولايات المتحدة الأمريكية ، أتم دراساته في جامعات واشنطن وكولمبيا ، حيث نال جوائز كثيرة ، فاعتنق الإسلام ، وقد كان قبل إسلامه يُدعى بالسيد دونالد ركويل فقط ، يتحدث عن إسلامه ، فيقول :

" لفت نظري بساطة العقيدة الإسلامية وسهولتها ، فليست هناك أسرار ولا ألغاز ، تؤمن بها ولا تناقشها ، بل مرد الإيمان إلى العقل ، والنظر في ملكوت الله ، وإن ما في الكون من نظام بديع يهدى –ضرورة– إلى وجود إله متصرف له الخلق والأمر ، فإذا عرفت الله وآمنت بوجوده فالإسلام يقول لك: إن الله أقرب إليك من حبل الوريد ، و الله يخبرك عن نفسه فيقول : ﴿ و إذا سألك عبادي عني فإني قريب * أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ .

فلا ضرورة من ثم إلى وسيط بينك وبين خالقك ولا حاجة بك إلى كاهن تعترف له فيقبل التوبة منك أو هيكل لا تتم العبادة إلا فيه .

﴿ و لله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثم وجه الله ﴾ .

والإسلام لا يقعد بمتبعه عن ركب التقدم والعمران بل يأمر الناس أن يأخذوا بالأسباب ، كما قال النبي الكريم ﷺ : "... اعقلها وتوكل " وهو لا يحرم الإنسان الطيب من متاع الدنيا :

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ .

﴿ قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ .

كثير من محاسن الإسلام في عقائده وعباداته ومعاملاته لا يمكنني حصره هاهنا ، دعاني إلى اعتناق ذلك الدين ، وإذا كان ما ينبغي أن أختم به الكلام فهو تلك العظمة التي تطالع كل من يقرأ سيرة الرسول وتاريخه .. عظمة في الدعوة .. عظمة في الشخصية .. وعظمة في الجهاد ... فلا جرم أن يكون محمد ﷺ خاتم النبيين ، وقد أسميت نفسي (محمد عبد الله) تيمنًا بتلك الشخصية الكريمة وإعجابًا بسجاياها الكاملة ، وبالله التوفيق " . (رجال ونساء أسلموا –للأستاذ عرفات العشي) .

وهنا كثير من مفكري الغرب والمثقفين منهم ، ممن اعتنقوا الإسلام عن اقتناع كامل ، ولكن بعد ما وضعوه على محك النقد والاختبار ، و وزنوه بميزان العقل والعلم ، وقد كانوا قبلُ من محاربيه والمناوئين له ، وكانوا يضمرون لأهله الحقد والعداء لمجرد أنهم مسلمون ، ويعيشون في سعادة وهناء، في بقاع من الأرض يسمونها العالم الإسلامي ؟ ولكن الله سبحانه أراد بهم خيرًا كثيرًا ففتح قلوبهم المقفلة للإسلام ، وأكرمهم بنعمته العظيمة ، وغيّر مجرى حياتهم ، من الشقاء إلى السعادة ، ومن اتباع النفس والهوى إلى طاعة الله ورسوله ﷺ واتباع الشريعة وتحكيمها في جميع شئون الحياة والمجتمع .

لقد واجه الإسلام في تاريخه الطويل كثيرًا من المحاولات البشعة التي استهدفت هدم كيانه ، والدسّ في تعاليمه ، وإخراج هيبته من القلوب ، وتستمر هذه المحاولات العدائية ضد الإسلام والعالم الإسلامي على جبهتين اثنتين بوجه خاص ، هما :

أولاً : الجبهة الفكرية التي تتولى بث السموم البطيئة في الغذاء الإيماني الدسم ، وتخدير العقول بعملية من التزوير والتحريف في أحكام الشريعة الإسلامية ،

وما ذلك إلا بمثابة حرب سرية تمارس لتشويه نقاء وجه الإسلام وإضعاف هيمنته على القلوب .

ثانيًا : الجبهة العسكرية التي تقوم بعمليات من العنف والإرهاب واستعمال القوة العسكرية ضد الدول التي فيها المسلمون ، والتي هي غنية بالمعادن الثمينة والخيرات الهائلة ، ويجد فيها العمل الإسلامي بأنواعه المتعددة والدعوة الإسلامية بوسائلها المعلومة اهتمامًا كبيرًا من أهلها ، وتصرف فيها الأموال لدعم مسيرة الدعوة والمشاريع الإسلامية ، وينال على اختلاف ديارهم وأوطانهم عطاءً سخيًا لتوسعة نطاق العمل الإسلامي ، وإبلاغ صوت الإسلام إلى جميع أنحاء العالم .

لماذا هذا التخوف الشديد مما إذا انبعث الإسلام من جديد ، وانطلقت موجة الداخلين فيه والمهتدين إليه على مستوى عالمي ؛ ولعل هذا الواقع لا ينتهي بالأساليب الصبيانية التي يقوم بها أعداء الإسلام ، بل ولابد من عودة العالم إلى طبيعة الدين الذي يحتوي على الحلول الكافية لجميع الأزمات والمشكلات التي يعاني منها العالم البشري ، ويرد على جميع التساؤلات التي تثار اليوم على الصعيد السياسي والاجتماعي والمستوى الإنساني والخلقي ، على أن حملة لواء فلسفة الحضارات المادية الحديثة يُؤثرون الصمت ويخلدون إلى الهاوية في جميع المجالات الإنسانية والحضارية ، يقول الله تعالى :

﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها * والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ .

[سورة يونس، الآيتان : ٧-٨]

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

(٣)

نبوءة غلبة الروم

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

ظهور النبوءة وتحقيقها :

أراد " هرقل " بعد أن أحيط بهذه المشاكل والنكبات -التي تقدمت سابقًا- أن يهاجر من القسطنطينية ويلجأ إلى مدينة قرطاجنة (١) (CARTHAGE) الآمنة المطمئنة ويتخذها مركزه وعاصمته ، وقد كانت سفنه الشراعية محملة بثروات القصر الملكي وحليه وجواهره ، مستعدة للإقلاع إذ حرضه البطريق على القتال وشجعه وشد أزره ، فجاء هرقل إلى كنيسة (St. Sophia) وحلف أن حياته وموته مع هؤلاء الذين ولاهم الله أمرهم .

ويقدر انهزامية الإمبراطورية الرومي من أنه بعث أحد القادة الإيرانيين وعددًا من المسئولين الروميين إلى كسرى إيران ، يستجدى منه العفو وإعلان حالة الأمن ، فلما حضروا لدى كسرى قال : إنها ليست بسفارة ، إنه في الواقع " هرقل " سيق إلى عرش إيران مغلوبًا لا مصفدًا ، ولا أعطيه الأمن حتى يتخلع عن " ربه المصلوب " ويختار عبادة الشمس .

ولكنه بعد تجارب ست سنوات رفع يده عن فتح القسطنطينية وأعطى الروميين الأمان على شروط أن يقدموا كل عام ألفًا من التالنت (Talent) الذهبي وألفًا من التالنت الفضي وألفًا من الحلل الحريرية ، وألفًا من الخيول وألفًا من الفتيات الباكرات كخراج إلى البلاط الإيراني.

لقد كانت هذه الشروط المخزية المهينة والتي كانت كفيلة بأن تستفز مشاعر الروميين وتشعل فيهم نيران الغيرة والحمية ، والثورة، أفادت هرقل وأحدثت في نفسيته انقلابًا ، فأعلن حربًا دينيةً مقدسةً (Sacred War) واستقرض للنفقات الحربية من أوقاف الكنائس ومواردها بشرط أنه سوف يردها بفوائد ربوية .

انقلاب في هرقل : لقد نشأت في طبيعة هرقل الخامدة وعزائمه الكليلة وجثته الهامدة روح جديدة ، وحدث انقلاب جذري في حياته، فلم يكن هو من الآن هرقل الكسلان المترف الناعم ، بل كان قائدًا فاتحًا طموحًا يقظًا متحمسًا ، ذا همة وعزيمة صارمة ، قلقًا على أوضاعه ، مضطربًا لاستعادة إمبراطوريته السليبة ، ونفخ الحياة في شعبه الميت الخامد من جديد .

يقول المؤرخ جبون :

" كما أن ضباب الليل والصباح ينقشع بالشمس في رابعة النهار ، كذلك تحول " آركاديوس " (٢) الحور والقصور ، قائد الساحة وفارس الميدان ، واستبقيت عزة هرقل وعزة الروم بطريقة رائعة جدًا (٣) " .

زحف هرقل وانتصاراته : أنزل هرقل جيوشه الكثيفة في خليج الإسكندرونة على يسار الساحل الغربي الجنوبي من آسيا الصغرى ؛

وأصلح قلاع المدن الساحلية ودرب الجنود الجدد تربية عسكرية منظمة، ودعا شعبه الرومي بمناسبة إزاحته الستار عن تمثال المسيح - عليه السلام- إلى الانتقام والثأر من عباد النار ، وألقى خطبة حماسية مؤثرة ، نفخ بها روح العداوة والانتقام ، وبعد أن فتح هرقل مدينة سليشيا (Cilicia) توجه إلى كيبى دوشيا (Cappadocia) وعبر جبال آرمينيا والبحر الأسود حتى تغلغل في قلب إيران ، ومشى من القسطنطينية بخمسمائة من صفوة الجنود إلى طرابزون ؛ وفتح مدينة طوروس ، ومناطق جندزاطا و موغان ، وكسر المسيحيون المعابد المجوسية ، وأحرقوا تماثيل كسرى ، وانتهكوا حرمة " مولد زرادشت " ، ثأرًا لكنيسة " مدفن المسيح " واستردوا خمسين ألفًا من الأسرى المسيحيين .

ودخل هرقل في " ساباط " ثم زحف إلى مدن قزوين وأصفهان ، وتعرضت الدولة الإيرانية لخطر الزوال ، وطلبت الجيوش الإيرانية من وادي النيل وباسفورس ولكن هرقل هزم هذه الجيوش الحاشدة ، شر هزيمة ، وبعد مروره بجبال كزدستان عبر هرقل نهر دجلة ، ودخل " ساباط " بعد حرب دموية ، ثم وقعت معركة حاسمة في ساحة نينوا ، دخل بعد الانتصار فيها " دستجرد " و وصل إلى ما يقرب من المدائن حوالي بضعة أميال ، ثم كر فاتحًا منتصرًا إلى القسطنطينية .

وقوع النبوءة وتمامها : تحطمت الدولة الإيرانية وداس الروميون بعد أن تجاوزوا الحدود التاريخية القديمة للدولة البيزنطية ، الأراضي الإيرانية ، ونصبوا في قلب إيران الراية الرومية ، وهكذا تمت هذه النبوءة القرآنية وحققت في عام ٦٢٥م أي السنة الثانية من

الهجرة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم- بمناسبة غزوة بدر الفاصلة بعد تسع سنوات من تاريخ إعلان النبوءة بالضبط ، ولم يكن ثمة من القرائن والدلائل الظاهرة ما يشير إلى تحقق ذلك أو ينم عنه .

عودة هرقل إلى خموله : اتفق المؤرخون الأوربيون على أن أروع عهود هرقل للحكم وألمعها في جبين التاريخ ، هو ذلك العهد الذي ثأر فيه من الفرس واسترد مملكته المفقودة ، وأن بداية عهده ونهايته لا تمتان إلى هذا العهد الأوسط بصلة ، ويبدو أن القدرة الإلهية المحصنة حركته وقدمته لهذا العمل العظيم .

فإنه قد عاد بعد تكميل مهمته ، ذلك القيصر الخامل المترف المترهل الذي عهدناه من قبل ، وأنه أسلم -كما يقول جبون- تلك الولايات التي استعادها من الفرس بحروب دامية وجهود ضخمة وتضحيات بالغة إلى العرب على مرأى منه ومسمع .

وقد حار المؤرخون في تعليل هذا التغير والانقلاب في نفسيته وطبيعته وصلاحيته ويقظته في عهده الأوسط ، وغفلته وعدم جدارته وقدرته في أول عهده ، ونهايته ، وقد حاولوا تعليلات مختلفة لعدم توازن هذه الحوادث وتنافرها ، والتعارض العجيب بين أدواره المختلفة ، يقول المؤرخ جبون :

" كان الواجب على المؤرخين البيزنطيين أن يحللوا لنا أسباب غفلة هرقل هذه وسباته ، ويقظته وتحركه ، ونحن على هذه المسافة الزمنية البعيدة بيننا وبينه نستطيع أن نتوصل إلى أنه كان رزق الجرأة

الشخصية أكثر من العزيمة السياسية وأنه كان هائمًا بجمال بنت أخيه (مارتينا) الساحر ، التي خادنها واتخذها حليلته وأنه كان آخذًا بمشورة مستشاريه الخرقاء وهي أن حياة ملك لا ينبغي أن تضيع في ساحات القتال ، ولعله كان استشاط غضبًا بمطالبات الفاتح الإيراني المخزية " (٤) .

ويقول كاتب المقال حوله في دائرة المعارف البريطانية :

" إن هرقل لغز من الألغاز العجيبة الغريبة ، التي يصعب حلها ، إنه -رغم كونه شجاعًا مقدامًا في شخصيته ، محنكًا صالحًا للقيادة في سياسته- بقي ينظر بهدوء وطمأنينة إلى مملكته وهي تخرق وتبدد ، إن صلاحياته و وجهات حياته في مختلف أدواره ليست مختلفة فحسب بل متعارضة متعاكسة .

ولكن يجب أن لا ننسى أن معلوماتنا عن حياته الأسرية الداخلية ناقصة قليلة ، فيمكن أن يكون وراء هذا التعارض سبب حقيقي آخر ، وإن كان لا يعتبر تبريرًا صحيحًا لعمله ، لقد كان أفضل لبقاء صيته وجميل ذكره أن كان قد مات بعد معاركه مع الفرس " (٥) .

لقد اعترف جميع المؤرخين الأوربيين في هذه التصريحات أن هرقل كان قد تحول عند حربه مع إيران إنسانًا آخر بطريقة غريبة ، وأنه حدث فيه تطور عجيب ، ونشأت فيه روح قلقة لم تعد بعد الحرب إليه ، وأن كل ما أحرزه واستعاده من الإيرانيين ، فقده بغفلته وتخاذله أمام العرب .

هذا ما يقوله المؤرخون الأوربيون ، ولا نسلم لهم إدعائهم الأخير بأنه تخاذل أمام المسلمين العرب ، فنحن نشك في أن هرقل لم يقاوم الغزوات الإسلامية وأن غفلة هرقل وعدم صلاحيته للقيادة كانت أكثر تسببا في هزيمة الروم أمام المسلمين من قوة الإسلام وشبابه ، وسيرة المسلمين الطاهرة ، ولا نخوض هنا في هذا البحث فهو خارج عن موضوعنا هذا : ﴿ و لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ .

الهوامش :

(١) كانت هذه المدينة بقرب تونس حاليًا .

(٢) " آركاديوس " ملك يضرب به المثل في الترف والرخاء وقلة الأنفة .

(٣) تاريخ انحطاط وسقوط الدولة البيزنطية : ج/٧ ، ص/٧٦ .

(٤) (Decline and fall of the Roman Empire) : ج/٧ ، ص/٧٦-٧٧ .

(٥) " دائرة المعارف البريطانية " : ج/١١ ، ص/٦٨٢ ، الطبعة التاسعة .

ركائز الفقه الدعوي

عند العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

بقلم : فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي

يقوم فقه الدعوة عند العلامة أبي الحسن الندوي على ركائز وأسس تبلغ العشرين ، منها ينطلق ، وإليها يستند ، وعليها يعتمد ، نُجملها هنا ، ونفصلها فيما بعد -إن شاء الله تعالى- .

هذا البحث من طلائع البحوث التي قدمت في الندوة العلمية التي عقدتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية في مدينة استانبول تكريما لسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في الفترة ما بين ٨-١٠/ من شهر أغسطس ١٩٩٦م . وكان اليوم الأخير خاصًا بندوة تكريم لسماحته . ننشره هنا نظرا إلى قيمته العلمية والدعوية . مع الشكر الجزيل للكاتب القدير . [التحرير]

١- تعميق الإيمان في مواجهة المادية :

أولى هذه الركائز : تعميق الإيمان بالله تعالى، وتوحيده سبحانه: ربًا خالقًا ، وإلهًا معبودًا ، واليقين بالآخرة، دارًا للجزاء ، ثوابًا وعقابًا ، في مواجهة المادية الطاغية ، التي تجحد أن للكون إلهًا يدبره و يحكمه ، وإن في الإنسان روحًا هي نفحة من الله، وإن وراء هذه الدنيا آخرة . المادية التي تقول: إن هي إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ! ولا شئ بعد ذلك . أو كما حكى الله عنهم : ﴿ وقالوا : إن هي إلا

حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴾ [سورة الأنعام . الآية : ٢٩] وقد تخللت هذه الركيزة الفكرية المحورية معظم رسائله وكتبه . وخصوصًا : الصراع بين الإيمان والمادية .. ماذا خسر العالم .. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية .

٢- إعلاء الوحي على العقل :

وثانية هذه الركائز : هي اعتبار الوحي هو المصدر المعصوم . الذي تؤخذ منه حقائق الدين وأحكامه . من العقائد والشرائع والأخلاق ، واعتبار نور النبوءة فوق نور العقل . فلا أمان للعقل إذا سار في هذا الطريق وحده من العثار . ولا أمان للفلسفات المختلفة في الوصول إلى تصور صحيح عن الألوهية والكون والإنسان والحياة . حتى الفلسفة الدينية أو علم الكلام حين خاض هذه اللجة غرق فيها . وقصور العقل هنا شهد به بعض كبار المتكلمين كالفخر الرازي . والآمدي وغيرهما . وبعض كبار الفلاسفة . واحدثهم (كانت) ، وكذلك فلسفات الاشراق لم تصل بالإنسان إلى بر الأمان . وقد بين ذلك العلامة الندوي في عدد من كتبه . منها : النبوءة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم ، ومنها : الدين والمدنية . وأصله محاضرة ألقاها في مقتبل الشباب (في الثلاثين من عمره) .

٣- توثيق الصلة بالقرآن الكريم :

والركيزة الثالثة : هي توثيق الصلة بالقرآن الكريم . باعتباره كتاب الخلود . ودستور الإسلام وعمدة الملة . وينبوع العقيدة . وأساس الشريعة . وهو يوجب اتباع القواعد المقررة في تفسيره وعدم الإلحاد في آياته . وتأويلها

وفق الأهواء والمذاهب المنحولة . ولهذا أنكر على القاديانيين هذا التحريف في فهم القرآن الكريم .

ومن قرأ كتب الشيخ وجده عميق الصلة بكتاب الله . مستحضرًا لآياته في كل موقف . محسنًا الاستشهاد بها غاية الإحسان . وله ذوق متفرد في فهم الآيات . كما أن له دراسات خاصة في ضوء القرآن الكريم . مثل : تأملات في سورة الكهف (التي تجلي الصراع بين المادية والإيمان بالغيب) والنبوءة والأنبياء في ضوء القرآن .. ومدخل للدراسات القرآنية .. وغيرها من الكتب والرسائل . وقد عمل مدرسًا للقرآن وعلومه في دار العلوم بلكناؤ عدة سنوات .

٤- توثيق الصلة بالسنة والسيرة النبوية :

والركيزة الرابعة : هي توثيق الصلة بالسنة والحديث الشريف . والسيرة النبوية العاطرة . باعتبار السنة مبينة القرآن وشارحته نظريًا . وباعتبار السيرة هي التطبيق العملي للقرآن . وفيها يتجلّى القرآن مجسدًا في بشر (كان خلقه القرآن) وتتجلى (الأسوة الحسنة) التي نصبها الله للناس عامة . وللمؤمنين خاصة . لهذا كان المهم العيش في رحاب هذه السيرة . والاهتداء بهديها والتخلق بأخلاقها . لا مجرد الحديث عنها . باللسان أو بالقلم .

وقد بين الشيخ أثر الحديث في الحياة الإسلامية . كما أبدع في كتابة السيرة للكبار وللأطفال . وهو هنا يجمع بين عقل الباحث المدقق . وقلب المحب العاشق . وهذا يكاد يكون مبثوثًا في عامة كتبه .

٥- إشعال الجذوة الروحية (الربانية الإيجابية) :

والركيزة الخامسة : هي إشعال الجذوة الروحية في حنايا المسلم . وإعلاء (نفخة الروح) على قبضة الطين والحمأ المسنون في كيانه . وإبراز هذا الجانب

الأساسي في الحياة الإسلامية التي سماه الشيخ (ربانية لا رهبانية) وهو عنوان لأحد كتبه الشهيرة . وقد سماه بهذا الاسم لسببين :

أولهما : إن يتجنب اسم (التصوف) لما علق به من شوائب ، وما ألصق به من زوائد ، على مر العصور ، وهذا من (جناية المصطلحات) على الحقائق والمضامين الصحيحة ، وما التصوف في حقيقته إلا جانب (التزكية) التي هي إحدى شعب الرسالة المحمدية ، أو جانب (الإحسان) الذي فسّره الرسول في حديث جبريل الشهير .

والسبب الثاني : إبراز العنصر الإيجابي في هذه الحياة الروحية المنشودة ، فهي روحية اجتماعية ، كما سماها أستاذنا البهي الخولي -رحمه الله- ، وهي ربانية إيجابية تعمل للحياة ولا تعتزلها ، ولا تعبدها ، وتجعل منها مزرعة للحياة الأخرى : حياة الخلود والبقاء .

كما وضح العلامة الشيخ الندوي الجانب التعبدي الشعائري في حياة المسلم في كتابه المعروف (الأركان الأربعة) وهو يمثل نظرة جديدة في عبادات الإسلام الكبرى : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وآثارها في النفس والحياة .

٦- البناء لا الهدم، والجمع لا التفريق :

والركيزة السادسة : إن العلامة الشيخ الندوي جعل همه في البناء لا الهدم، والجمع لا التفريق ، وأنا أشبهه هنا بالإمام حسن البنا -رحمه الله- ، الذي كان حريصًا على هذا الاتجاه الذي شعاره : نبني ولا نهدم ، ونجمع ولا نفرق ، ونقرب ولا نباعد ، ولهذا تبنّى قاعدة المنار الذهبية : (نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه) وهذا هو توجه شيخنا الندوي فهو يبعد ما استطاع عن الأساليب الحادة ، والعبارات الجارحة ،

والموضوعات المفرقة ، ولا يقيم معارك حول المسائل الجزئية ، والقضايا الخلافية .

ولا يعني هذا : أنه يداهن في دينه ، أو يسكت عن باطل يراه أن خطأ جسيم يشاهده ، بل هو ينطق بما يعتقده من حق ، وينقد ما يراه من باطل أو خطأ ، لكن بالتي هي أحسن ، كما رأيناه في نقده للشيعة في موقفهم من الصحابة (صورتان متضادتان) وفي نقده للعلامة أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب ، فيما سماه : (التفسير السياسي للإسلام) وإن كنت وددت لو اتخذ له عنوانًا غير هذا العنوان ، الذي قد يستغله العلمانيون في وقوفهم ضد (شمول الإسلام) وقد صارحت الشيخ بذلك و وافقني عليه -حفظه الله تعالى- .

٧- إحياء روح الجهاد في سبيل الله تعالى :

والركيزة السابعة : هي إحياء روح الجهاد في سبيل الله ، وتعبئة قوى الأمة النفسية للدفاع عن ذاتيتها و وجودها ، وإيقاد شعلة الحماسة للدين في صدور الأمة ، التي حاولت القوى المعادية للإسلام إخمادها ، ومقاومة روح البطالة والقعود ، والوهن النفسي ، الذي هو حب الدنيا وكراهية الموت ، وهذا واضح في كتابه : (ماذا خسر العالم) وفي كتابه : (إذا هبت ريح الإيمان) وفي حديثه الدافق المعبر عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وجماعته ودعوته ، وعن صلاح الدين الأيوبي وأمثاله من أبطال الإسلام .

ومنذ رسائله الأولى وهو ينفخ في هذه الروح ، ويهيب بالأمة أن تنتفض للذود عن حماها ، وتقوم بواجب الجهاد بكل مراتبه ومستوياته حتى تكون كلمة الله هي العيا .

٨- استيحاء التاريخ الإسلامي وبطولاته:

والركيزة الثامنة : استيحاء التاريخ -ولا سيما تاريخنا الإسلامي- لا ستنهاض الأمة من كبوتها . فالتاريخ هو ذاكرة الأمة ، ومخزن عبرها ، ومستودع بطولاتها . والشيخ يملك حسا تاريخيًا فريدًا ، و وعيًا نادرًا بأحداثه الكبار ، والدروس المستفادة منها . كما تجلى ذلك في رسالته المبكرة (المد والجزر في تاريخ الإسلام) وفي كتابه : (ماذا خسر العالم) وفي غيره ، والتاريخ عنده ليس هو تاريخ الملوك والأمراء وحدهم ، بل تاريخ الشعوب والعلماء والمصلحين والربانيين . ليس هو التاريخ السياسي فقط ، بل السياسي والاجتماعي والثقافي والإيماني والجهادي . ولهذا يستنطق التاريخ بمعناه الواسع ، ولا يكتفى بمصادر التاريخ الرسمية ، بل يضم إليها كتب الدين ، والأدب ، والطبقات المختلفة ، وغيرها ، ويستلهم مواقف الرجال الأفذاذ ، وخصوصًا المجددين والمصلحين ، كما في كتابه : (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) الذي بين فيه أن الإصلاح والتجد ، خلال تاريخ الأمة : حلقات متصلة، ينتهي دور ليبدأ دور ، ويغيب كوكب ليطلع كوكب ، والنقص ليس في التاريخ ، إنما هو في منهج كتابته وتأليفه .

٩- نقد الفكرة الغربية والحضارة المادية:

والركيزة التاسعة : هي نقد الجاهلية الحديثة ، المتمثلة في الفكرة الغربية، والحضارة المادية المعاصرة ، ورؤيته هنا واضحة كل الوضوح لحقيقة الحضارة الغربية وخصائصها ، واستمدادها من الحضارتين : الرومانية واليونانية ، وما فيهما من غلبة الوثنية ، والنزعة المادية الحسية ، والعصبية القومية ، وهو واع تمامًا للصراع القائم بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية

وخصوصًا في ميادين التعليم والتربية والثقافة والقيم والتقاليد ، وقد أنكر الشيخ موقف الفريق المستسلم للغرب ، المقلد له تقليدًا أعمى في الخير والشر ، ومثله: موقف الفريق الرافض للغرب كله ، المعتزل لحضارته بمادياتها ومعنوياتها .. ونوه الشيخ بموقف الفريق الثالث ، الذي لا يعتبر الغرب خيرًا محضًا ، ولا شر محضًا ، فيأخذ من الغرب وسائله لا غاياته ، وآلياته لا منهج حياته ، فهو ينتخب من حضارته ما يلائم عقائده وقيمه ، ويرفض ما لا يلائمه ، واهتم الشيخ هنا بشعر د/إقبال باعتباره أبرز ثائر على الحضارة المادية ، مع عمق دراسته لها ، وتغلغله في أعماقها .

وقد تجلى هذا في كثير من كتبه ورسائله ، ولا سيما : حديث مع الغرب .. ماذا خسر العالم .. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، أحاديث صريحة في أمريكا .. محاضرة (الإسلام والغرب) في أوكسفورد .

١٠- نقد الفكرة القومية والعصبيات الجاهلية:

والركيزة العاشرة : نقد ما شاع في العالم العربي والعالم الإسلامي كله ، من التنادي بفكرة (القومية) القائمة على أحياء العصبيات الجاهلية ، بعد ما أكرم الله به هذه الأمة من الاخوة الإسلامية ، والإيمان بالعالمية ، والبراءة من كل من دعا إلى عصبية ، أو قاتل على عصبية أو مات على عصبية ، وأشد ما آلمه: أن تتغلغل هذه الفكرة بين (العرب) الذين هم عصبة الإسلام ، وحملة رسالته ، وحفظة كتابه وسنته . وهو واحد منهم نسبًا وفكرًا وروحًا .

لذا وقف في وجه (القومية العربية) العلمانية المعادية الإسلام ، المفرقة بين المسلمين ، والتي اعتبرها بعضهم (نبوءة جديدة) أو (ديانة جديدة) تجمع العرب على معتقدات ومفاهيم وقيم غير ما جاء به محمد ﷺ ، الذي هدى الله به

أمة العرب . وجمعهم به من فرقة . وأخرجهم به من الظلمات إلى النور ، وهو رغم رفضه للقومية . لا ينكر فضل العرب ودورهم وريادتهم . بل هو يستنهض العرب في محاضراته ورسائله وكتبه للقيام بمهمتهم . والمناداة بعقائدهم ومبادئهم في وجه العالم . كما نادى ربعي بن عامر . في مواجهة قادة الفرس، وهو يقول في ماذا خسر العالم : " محمد رسول الله روح العالم العربي" ويوجه رسالة عنوانها : اسمعوها مني صريحة أيها العرب . ورسائل أخرى : العرب والإسلام .. الفتح للعرب المسلمين .. اسمعي يا مصر .. اسمعي يا سورية .. اسمعي يا زهرة الصحراء (يعني : الكويت) .. كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب ؟ .. كيف دخل العرب التاريخ .. العرب يكتشفون أنفسهم : تضحية شباب العرب . إلى آخره .

١١- تأكيد عقيدة ختم النبوءة ومقاومة الفتنة القاديانية :

والركيزة الحادية عشرة : هي تأكيد (عقيدة ختم النبوءة) وهي عقيدة معلومة من الدين بالضرورة بين المسلمين طوال القرون الماضية . ولم يثر حولها أي شك أو شبهة . وإنما أوجب تأكيد هذه العقيدة : ظهور الطائفة القاديانية بفتنتهم الجديدة التي اعتبرها الشيخ (ثورة على النبوءة المحمدية) . ولقد كتب في هذه القضية ما كُتب من مؤلفات ومقالات . ولكن الشيخ شعر بمسئولية خاصة إزاءها . فكتب في بيان أهمية ختم النبوءة : في اعتبارها تكريمًا للإنسانية بأنها (بلغت الرشد) . وأنها انتهت إلى (الدين الكامل) الذي يضع الأسس والأصول . ويترك التفصيلات للعقل البشري . الذي يولّد ويستنبط في ضوء تلك الأصول ما تحتاج إليه المجتمعات في تطورها المستمر . وهي تغلق

الباب على المتنبئين الكذابين . وتمنع فوضى الدعاوى الكاذبة المفترية على الله تعالى .

وقد أكد الشيخ ذلك في فصل من كتابه : (النبوءة والأنبياء) عن (محمد خاتم النبيين) ثم ألف كتابًا عن (النبي الخاتم) وجعل السيرة النبوية للأطفال بعنوان : (سيرة خاتم النبيين) . ثم صنف كتابًا خاصًا عن (القادياني و القاديانية) تضمن دراسة وتحليلاً لشخصية (غلام أحمد) ودعوته . ونشأته في أحضان الاستعمار الإنجليزي . واعترافه المتكرر بذلك في رسائله وكتاباته . ودعوته المسلمين إلى طاعة الإنجليز . وإلغاء الجهاد . وبين الشيخ الندوي بكل صراحة : أننا -مع القاديانية- في مواجهة دين إزاء دين . وأمة إزاء أمة . كما اشتد نكيره عليهم في تحريفهم للقرآن . وتلاعبهم باللغة العربية . وهذا الكتاب مرجع علمي موثق بالأدلة من مصادرها القاديانية ذاتها .

١٢- مقاومة الردة الفكرية :

والركيزة الثانية عشرة : هي (مقاومة الردة الفكرية) التي تفاقم خطرها بين العرب والمسلمين عامة . والمثقفين منهم خاصة . فكما قاوم الشيخ (الردة الدينية) التي تمثلت في القاديانية . التي اصر علماء المسلمين كافة في باكستان على اعتبارهم أقلية غير مسلمة . لم يأل جهدًا في محاربة هذه (الردة العقلية والثقافية) . ولا غرو أنه جنّد قلمه ولسانه وعلمه وجهده في كشف زيفها . و وقف زحفها . ومطاردة فلولها . وقد ألف فيها رسالته البديعة الشهيرة (ردة ولا أبا بكر لها !) .

١٣- تأكيد دور الأمة المسلمة واستمراره في التاريخ :

والركيزة الثالثة عشرة : هي تأكيد دور الأمة المسلمة في هداية البشر . والشهادة على

الأمم ، والقيام على عبادة الله وتوحيده في الأرض ، كما أشار إلى ذلك الرسول يوم بدر : " اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض " ، وهذه الأمة صاحبة رسالة شاملة ، وحضارة متكاملة ، مزجت المادة بالروح ، و وصلت الأرض بالسماء ، وربطت الدنيا بالآخرة ، وجمعت بين العلم والإيمان، و وفّقت بين حقوق الفرد ومصلحة المجتمع ، وهذه الأمة موقعها موقع القيادة والريادة للقافلة البشرية ، وقد انتفعت منها البشرية يوم كانت الأمة الأولى في العالم .. ثم تخلفت عن الركب لعوامل شتى ، فخسر العالم كثيرًا بتخلفها ، وهو ما عالجه كتاب : (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟) الذي عرفت به الشيخ قبل أن ألقاه ، والذي استقبله العلماء والدعاة والمفكرون المسلمون استقبالاً حافلاً ، وقال شيخنا الدكتور محمد يوسف موسى : إن قراءته فرض على كل مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام !

ولا زال العلامة الندوي يبدئ ويعيد في تنبيه الأمة المسلمة على القيام بدورها الرسالي ، ومهمتها التي (أخرجت) لها ، فقد أخرجها الله (للناس) لا لنفسها ، وآخر إنتاجه في ذلك : محاضرته التي ألقاها في دولة قطر ، بعنوان : (قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم ودورها في العالم) .

١٤- بيان فضل الصحابة ومنزلتهم في الدين :

والركيزة الرابعة عشرة : هي (بيان فضل الجيل المثالي الأول) في هذه الأمة، وهو جيل الصحابة -رضوان الله عليهم- ، أبر الناس قلوبًا ، وأعمقهم علمًا ، وأقلهم تكلفًا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، ونصرة دينه ، وأنزل عليهم ملائكته في بدر والخندق وحنين ، وهم الذين أثنى عليهم الله تعالى في كتابه في عدد من سوره ، وأثنى عليهم رسوله في عدد من أحاديثه المستفيضة ، وأكد ذلك

تاريخهم وسيرتهم ومآثرهم ، فهم الذين حفظوا القرآن ، والذين رووا السنة ، والذين فتحوا الفتوح ، ونشروا الإسلام في الأمم ، وهم تلاميذ المدرسة المحمدية، وثمار غرس التربية النبوية ، وهم أولى من ينطبق عليه ، قول الله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٤٣] ، وقوله : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١١٠] .

وهم طليعة الأمة وأسوتها في العلم والعمل ، وأئمتها في الجهاد والاجتهاد، وتلاميذهم من التابعين على قدمهم ، وإن لم يبلغوا مبلغهم : " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم " فمن شكك في عظمة هذا الجيل وفي أخلاقه ومواقفه ، فقد شكك في قيمة التربية المحمدية ، وهي الصورة المعتمة التي رسمها الشيعة لجيل الصحابة ، مناقضة الصورة المشرقة الوضيئة التي رسمها أهل السنة والجماعة ، وهذا ما وضحه علامتنا في رسالته الفريدة (صورتان متضادتان) لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ الدعوية والتربوية ، وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية .

١٥- التنويه بقضية فلسطين وتحريرها :

والركيزة الخامسة عشرة : هي (التنويه بقضية فلسطين) فقضية فلسطين ليست قضية الفلسطينيين وحدهم ، ولا العرب وحدهم ، بل هي قضية المسلمين جميعًا ، فلابد من إيقاظ الأمة لخطرها ، وتنبيهها على ضرورة التكاتف لتحريرها ، واتخاذ الأسباب ، ومراعاة السنن المطلوبة لاستعادتها ، وليست هذه أول مرة تحتل فلسطين من قبل أعداء الدين والأمة ، فقد احتلت أيام الحروب الصليبية نحو مائة عام ، وأسر المسجد الأقصى تسعين سنة كاملة ،

حتى هيأ الله لهذه الأمة رجالا أفذاذاً ، جددوا شباب الأمة بالإيمان ، وإحياء روح الكفاح ومعنى الجهاد في سبيل الله ، مثل نور الدين وصلاح الدين ، الذي أشاد به العلامة الندوي كثيرًا في كتبه ورسائله .

ولا سبيل إلى تحرير فلسطين إلا بهذا الطريق ، وعلى نفس هذا المنهاج : تجميع الأمة على الإسلام ، وتجديد روحها بالإيمان ، وتربية رجالها على الجهاد ، وقد كتب في ذلك الشيخ مقالات ورسائل ، اظهرها (المسلمون وقضية فلسطين) .

١٦- العناية بالتربية الإسلامية الحرة :

والركيزة السادسة عشرة : هي (العناية بالتربية الإسلامية الحرة المشكلة) التي لا تستمد فلسفتها من الغرب ولا من الشرق ، إنما تستمد فلسفتها من الإسلام : عقيدة وشريعة وقيما وأخلاقًا ، في حين تقتبس وسائلها وآلياتها من حيث شاءت ، في إطار أصولها المرعية ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، وهو ينكر على التعليم القديم طرائقه في العناية بالألفاظ والجدليات ، كما ينكر على التعليم الحديث إغفاله للروح وأهداف الحياة ، وينقل عن إقبال قوله : إن التعليم الحديث لا يعلم عين الطالب الدموع ، ولا قلبه الخشوع !

ولقد أولى شيخنا جانب التربية اهتمامًا بالغًا ، لأنها هي التي تصنع أجيال المستقبل ، والتهاون فيها تهاون في الثروة البشرية للأمة ، وقد نقل الشيخ عن بعض شعراء الهند ، إن فرعون كان يكفيه عن تذبيح بني إسرائيل : أن ينشئ لهم كلية يكيف عقولهم فيها كما يريد ، ولكنه كان غبياً !

كتب الشيخ في ذلك رسائل ، أبرزها : التربية الإسلامية الحرة ، كما ناقش كثيرًا من قضايا التربية في كتابه : كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب ؟ كما شارك الشيخ بنفسه في هذا المجال علمًا وعملاً .

١٧- العناية بالطفولة والنشء :

والركيزة السابعة عشرة : هي (العناية بالطفولة ، والكتابة للأطفال والناشئين) بوصفهم رجال الغد ، وصنّاع تاريخ الأمم ، وقد التفت الشيخ إلى هذا الأمر الخطير ، وهو في الثلاثينات من عمره ، وكتب مجموعة من قصص النبيين للأطفال ، في لغة سهلة ، وأسلوب عذب ، وطريقة شائقة ، مضمنًا إياها ما يجب من المعاني والقيم ، ومن الدروس والعبر ، ومن العقائد والمثل ، حتى قال بعض العلماء : إنها (علم توحيد) جديد للأطفال ، وأثنى عليها أديب كبير كالشهيد سيد قطب ، مارس هذا العمل أيضًا ، وبعد ثلاثين سنة أو أكثر عاد فأكمل قصص الأنبياء ، وختمها بسيرة خاتم النبيين ﷺ ، كما أنشأ مجموعة (قصص من التاريخ الإسلامي) للأطفال أيضًا ، وقال : إنه يرجو أن ينال بهذه الخطوة تقدير رجال التربية ، وأن تليها خطوات ، وتؤلف مجموعات .

١٨- إعداد العلماء والدعاة الربانيين المعاصرين :

والركيزة الثامنة عشرة : هي العمل الدؤب لإعداد العلماء والدعاة الربانيين ، الذين يجمعون بين المعرفة الإسلامية ، والرؤية العصرية ، مع الغيرة الإيمانية والأخلاق الربانية ، وهذا ما اجتهد الشيخ في أن يسهم فيه بنفسه عن طريق التدريس في (دار العلوم) ثم عن طريق تطوير المناهج ، وعن طريق وضع المقررات والكتب الدراسية ، ثم عن طريق الاشتراك في مجالس

الجامعات والمؤسسات التعليمية في الهند ، وفي غيرها ، مثل المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

وهو يرى أن المسلمين أحوج ما يكونون اليوم إلى الداعية البصير ، والعالم المتمكن ، الذي إذا استقضي قضى بحق ، وإذا استفتي أفتى على بينة ، وإذا دعا إلى الله دعا على بصيرة .

١٩- ترشيد الصحوة والحركات الإسلامية :

والركيزة التاسعة عشرة : هي ترشيد الصحوة الإسلامية ، التي يشهدها العالم الإسلامي . بل يشهدها المسلمون في كل مكان ، حتى خارج العالم الإسلامي . حيث توجد الأقليات والجاليات الإسلامية في أوربا والأمريكتين والشرق الأقصى وغيرها ، وهي صحوة عقول وقلوب وعزائم ، ولكن يُخشى على الصحوة من نفسها أكثر من غيرها . فتتأكل من الداخل ، قبل أن تضرب من الخارج .

واعظم ما يُخشى على الصحوة : الغلو والتشديد في غير موضعه ، والتمسك بالقشور وترك اللباب . والاشتغال الزائد بالجزئيات والخلافيات ، وسوء الظن بالمسلمين إلى حد التأثيم والتضليل . بل التكفير .

والشيخ بطبيعته رجل معتدل في تفكيره ، وفي سلوكه وفي حياته كلها : فهو قديم جديد . وهو تراثي وعصري . وهو سلفي وصوفي . ثابت ومتطور ، في لين الحرير وصلابة الحديد . وهكذا يريد لجيل الصحوة أن يكون .

لم يقيد العلامة الندوي نفسه بالالتزام بجماعة معينة ، فقد بقي حرًا ، يشرف على الجماعات من خارجها . فيرى من نواقصها ما لا يراه أعضاؤها ، ويبصر نقاط ضعفها ، فيوجه وينصح . وينقد ويسدد ، ولعل في ذلك خيرًا ، كما

لا يدخر وسعًا في النصح لحكام المسلمين وزعمائهم ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، وخصوصًا أنه لا يطمع في شئ من أحد منهم .

٢٠- دعوة غير المسلمين :

وآخر هذه الركائز وهي المكملة للعشرين : دعوة غير المسلمين للإسلام ، استكمالاً لما قامت به الأمة في العصور الأولى ، وقد ساهم الشيخ في ذلك منذ عهد مبكر - وهو ابن الثانية والعشرين- بدعوة الدكتور أمبيدكر -زعيم المنبوذين- إلى الإسلام ، ورحلته إليه في بومبائ .

وهو يرى أن فضل الأمة الإسلامية على غيرها في قيامها بواجب الدعوة إلى الله ، وأن البشرية اليوم -رغم بلوغها ما بلغت من العلم المادي والتطور التكنولوجي- أحوج ما تكون إلى رسالة الإسلام ، حاجة الظمآن إلى الماء ، والسقيم إلى الشفاء ، والأمة الإسلامية هي وحدها التي تملك قارورة الدواء ، ومضخة الإطفاء .

تلك هي الركائز العشرون ، التي قام عليها فقه الدعوة عند الإمام الندوي ، وكل ركيزة منها تحتاج إلى شرح وتفصيل ، أسأل الله تعالى أن يعين عليه ، ويوفق لاتمامه ، إنه سميع مجيب .

***

دراسات و أبحاث

الغزو الفكري في حياة المسلمين
منافذ دخوله - و وسائل مقاومته

[الحلقة التاسعة]

بقلم : الدكتور عمر يوسف حمزة

وفي العصر الحديث حاول الاستعمار الذي دخل إلى بلاد المسلمين وهو يحمل معه التغريب والغزو الثقافي وأداتها التبشير والاستشراق ، أن يعيد هذه الشبهات من جديد ويقدمها في صورة مذاهب وفلسفات .

ومن أبرز هذه المفاهيم المخالفة للفطرة المعارضة للعقل، المختلفة مع رسالة الإسلام ومفهوم القرآن الكريم :

- الدعوة إلى إنكار الغيب والبعث والجزاء والجنة والنار .
- الدعوة إلى سقوط التكليف عن كل من وصل إلى معرفة الله .
- عبادة قوى الطبيعة .
- نظريات الفيض والإشراق والاتحاد والحلول .
- دعاوى الروحية الحديثة وتحضير الأرواح .
- مذاهب البهائية والمأسونية .
- دعوات الإقليمية كالفرعونية والفينيقية .
- فصل الدين عن المجتمع والدولة .

- طرح المفاهيم الوافدة في القومية والعدل الاجتماعي والقانون .
- الدعوة إلى العالمية والأممية .
- إدعاء التعرض بين العروبة والإسلام .
- طرح النظرية المادية المنكرة لوجود الخالق .
- الدعوة إلى التحلل والإباحة والحرية الدينية والأخلاقية (١٤٦).

وهذه الدعوات كلها قد وجدت في غير بلاد المسلمين ، ونشأت هذه الدعوات لا تعرف التوحيد ، وأنها هي القاتل التي صرعت الأمم والحضارات ، والإسلام جاء ليمحوها ويقيم للإنسانية منهجًا ربانيًا في مصدره ، إنسانيًا في تطبيقه يقوم على العدل والحق والإيمان بالله تعالى .

كما رسم الإسلام للحياة الدنيا طريقها الواضح إلى العمران في نطاق الأخلاق وإقامة المسئولية الفردية ، والالتزام الخلقي وربط الدنيا بالآخرة .

إن هدف أعداء الله هو : " ذوبان الشخصية الإسلامية " وذلك بالقضاء على مقومات كيانها وعلامات القوة فيها ، واحتوائها بأخلاق الضعف والانحلال والإباحة حتى لا تقوى على مواجهة التحديات .

ذلك أخطر أهداف العدو : بناء أجيال ذليلة ضعيفة ، لا تؤمن بحقها ، ولا تؤمن بربها ، ولاتستطيع أن تصمد أمام الخطر والتحدي .

إن إعادة بناء الفكر الإسلامي في إطار الإسلام وعلى قواعده الرئيسية من وحدانية الله ، واستخلاف الناس في الأرض تحت حكم الله ، إنما يمثل جوهر الأيديولوجية التي لم تتخلف طوال تاريخ الإسلام ، والتي لا يستطيع العرب والمسلمون أن ينحرفوا عنها .

لقد أثبت الفكر الإسلامي صلابته واستقلاليته وقدرته على البقاء فإنه في عديد من أزمانه لم يسقط ولم يتداع، ولم تضطرب أصول مقوماتـــــــه ، بل ظلّ محتفظاً بذاتيته في مواجهة الغزو (١٤٧).

إن محاربة الفكر الإسلامي وبذل الجهود المتتالية من أعداء الإسلام لفصله عن جذوره سوف تفشل وتتحطم على صرخة الإسلام ، وذلك إذا ما تمسكنا بكتاب الله تعالى الذي رسم لنا الطريق المبعد بالأمن والاستقرار ، قال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ١٥٣] .

إن الطريق الصحيح لمواجهة الغزو الفكري ، هو طريق الشريعة الإسلامية والأخلاق الإسلامية ، والعقيدة الإسلامية ، وهو الطريق الذي يهدي إلى بناء الشخصية المؤمنة التي تبيع نفسها في سبيل الله ، وتسترخص الموت والجهاد في سبيل نصرة الحق .

المحور الثالث : العلمانية والحداثة

١- اتجاهاتها الخطيرة في محاربة الإسلام .

٢- الطريق الأنجع في دفع تحركاتهما العدوانية و رد نشاطاتهما المتنوعة في المجالات : الفكرية ، والتعليمية ، والإعلامية .

١- معنى العلمانية وأثرها في فكر المسلمين :

لفظ العلمانية قد تشعر الكلمة في اشتقاقها أنها تعني رفع شعار العلم ، ومن ثم فلا تعارض بينها وبين الإسلام .. بل إنها إحدى وسائل الإسلام وبعض أهدافه .

وهو ما نحسب أنهم قصدوا إليه حين ترجموا معنى الكلمة في لغتها الأصيلة .. ليقع المسلمون ، في هذا الوهم (١٤٨) ، فالعلمانية ترجمة خاطئة لكلمة Secularism في الإنجليزية ، أو Secularite بالفرنسية ، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ " العلم " ومشتقاته على الإطلاق ، فالعلم في الإنجليزية والفرنسية معناه : Science والمذهب العلمي نطلق عليه كلمة Scientism (١٤٩) والنسبة إلى العلم هي Scientific أو Scientifipue في الفرنسية .

والترجمة الصحيحة للكلمة هي " اللادينية " أو " الدنيوية " ، لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب ، بل بمعنى أخص هو : ما لا صلة له بالدين أو ما كنت علاقته بالدين علاقة تضاد ، ومن ثم كانت العلمانية تعني اللادينية .

فالعلمانية هي أول عناصر الاتجاه الليبرالي الديمقراطي الذي ساد حياة المسلمين بتأثير الاستعمار ، وكان ذلك أخطر النتائج ، وأعمق الآثار التي حفرها الاستعمار ، وخلفها من بعده :

عزل الإسلام عن الدولة ، وعن توجيه الحياة العامة ، وعن قيادة المجتمع .

وبعبارة أخرى : العمل على سيادة المفهوم الغربي لما يسمى دينًا ، وما يسمى دولة ، وتأكيد الفصل بينهما ، حتى لا يعود في يوم قريب إلى الدين سلطانه ، فيسيطر على الدولة ويوجهها .

يقول المستشرق الفرنسي " هانوتو " : " إن الإسلام دين وسياسة ، وإن شعور المسلمين مبهم من حيث الجامعة السياسية أو الرابطة الوطنية ، فالوطن عندهم هو الإسلام ، وهم يقولون : إن السلطة مستمدة من الألوهية ، فلا يجوز أن يتولاها إلا المسلمون " (١٥٠) .

ثم أشارَ " هانوتو " إلى نجاح فرنسا في فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية ، في تونس ، وقال : " إنها قد استطاعت أن تحقق هذا الانقلاب العظيم بلباقة وحذق ، دون أن تثير ضجيجًا أو تذمرًا ، فتوطدت دعائم السلطة المدنية من غير أن يلحق بالدين مساس (!) وتسربت الأفكار الأوربية بين السكان بدون أن يتألم منها إيمان المحمدي (يعني المسلم) وبذلك انفصل الحبل بين هذا البلد والبلاد الإسلامية الأخرى ، الشديدة الاتصال بعضها ببعض " ودعا " هانوتو " في آخر كلامه إلى أن تتخذ تونس مثالاً يقاس عليها ونموذجًا ينسج على منواله .

فالعلمانية : أوجدها اليهود لتقضي على نفوذ الكنيسة في أوربا ، وأول ثورة نجح بها في هذا الموضوع هي الثورة

الفرنسية ، ثم جاءت -بعد ذلك ثورات أخرى في أقطار أوربية كثيرة ، تمكنت أن تقوم بفصل الدين عن الدولة ، وبدأ التعليم العلماني في الدول الغربية بعد تلك الخطوات ، وفقدت الكنيسة مكانتها التي كانت تتبؤها في التربية والتعليم .

هكذا عرف الفصل بين الدين والدولة في أمم الغرب ، لقد حدث هذا ، لأن رجال الدين عجزوا عن تقديم الحلول الصحيحة السليمة للمشكلات التي كان يعاني منها المجتمع .

أما الإسلام فإنه لا يعرف شيئًا من هذا الفصل المزعوم ، والقرآن الكريم يدعو الناس إلى الإيمان بأحكامه الدينية والدنيوية ، ويعتبر الإيمان ببعض القرآن والكفر ببعضه الآخر كفرًا ، وأن القرآن أنزله الله تعالى ليكون الحاكم بين المسلمين ، قال تعالى : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٤٩].

والإسلام ينظم شئون الفرد والأسرة والدولة ، بل ينظم شئون المجتمعات ، قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه ومهيمنًا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عمّا جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٤٨] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي وردت في هذا المعنى .

ولقد كان النبي ﷺ ، يقوم بوظيفة الدعوة إلى الله تعالى ، وتعليم الناس القرآن الكريم ، وأحكام الإسلام ، وفي الوقت نفسه كان رسول الله ﷺ ، رئيس الدولة والقائد لجيوش المسلمين ، ذلك أن الإسلام يمثل عناصر ثلاثة هي :

* العقيدة . * الشريعة . * الأخلاق .

وإذا كان الغرب قد بذل جهودًا جهيدة في غزو الفكر الإسلامي ، فإنه أراد من ذلك إيقاع العالم الإسلامي في براثن الاحتواء الغربي ، إذ عند ذاك يتخلى الفكر الإسلامي عن مكانته ، وفي ذلك نجاح كبير للصهيونية وأهدافها التي عملت -ولا تزال كذلك تعمل- من أجل البقاء في فلسطين .

إن الحضارة الغربية تعاني اليوم آلامًا كثيرةً وساعة احتضارها ليست بالبعيدة ، هذه حقيقة أقرها كثير من كتاب الغرب، وفلاسفته ، الذين عرفوا كنه الحضارة الغربية ، من الداخل لا من الخارج فقط ، ومن أجل ذلك عقد في (إنجلترا) في أوائل القرن التاسع عشر مؤتمر خطير ، قرر المؤتمرون فيه هذه الحقيقة -حقيقة انهيار الحضارة الغربية- لكنهم تواصوا أن يوجهوا سهامهم بعنف وقوة أشد من ذي قبل إلى هذا البديل الذي يحتمل أن يتبوأ مكان الحضارة الغربية ، ويحل محلها ، هذا البديل هو الأمة الإسلامية : بعقيدتها وشريعتها وقيمها وثقافتها وحضارتها ، وقد عملوا منذ يومئذ إلى يوم الناس هذا على أن يضاعفوا من جهودهم ليفتنوا الأمة الإسلامية عن طريق الغزو

الفكري ليتأخر زمن انهيار حضارتهم ، وذلك بإذابة (الشخصية الإسلامية) واحتواء (الفكر الإسلامي) (١٥١) .

• **آثار العلمانية في التعليم** : كانت البلاد الإسلامية في العصور الماضية ، إسلامية التعليم ، ولكن الاستعمار الغازي كبر عليه أن يترك للمسلمين دينهم ، بعد أن سلب منهم خيرات أرضهم ، وسعى بكل وسائله ليحقق فيهم جهلهم بدينهم مما كان لهذا أعظم الأثر في حياة المسلمين سلبًا ، ولقد تناولت هذا الموضوع بشئ من التفصيل في المحور الأول (الفقرة الثانية بعد الاقتصاد) .

• **آثار العلمانية في الإعلام** : العلمانية في التعليم أقدم وأخطر ، والعلمانية في الإعلام أعم وأشمل .. ومن هنا تكمن خطورتها ، فإذا كان التعليم يخاطب الآلاف بمناهجه ، فإن الإعلام يخاطب الملايين ببرامجه ، وأكثر هذه الملايين ، ساذجة تؤثر فيها الكلمة ، مقروءة أو مسموعة ، أو متطورة ، وقد بذل الاستعمار جهده في السيطرة على أجهزة الإعلام في البلاد الإسلامية ، واستطاع أن يوجه الصحافة ، والإذاعة المسموعة، والمرئية ، والمسرح ، وفنون الغناء ، والتصوير ، والهدف من ذلك هو تشكيل أجيال وفق قيم وأسس بعيدة عن الإسلام في عقيدته وشريعته ، وقد فصلت القول في هذا الموضوع في المحور الأول (الفقرة الخامسة) .

أما الحداثة : إذا كان المراد منها المدنية الحديثة وما نجم عنها من أنظمة الحياة الإنسانية من مبادئ فاسدة منحرفة ، جرّت

على العالم كثيرًا من العواقب الوخيمة و ويلات الثبور والدمار ، وسوف تتجرع الإنسانية غصص شرورها ومآسيها وتعاني منها الكثير من الآثار السيئة ، والنتائج البشعة ما دامت تسير في ركابها وتتبع خطواتها .

فإن مثل هذه الحداثة والحياة العصرية المنحرفة فإن الإسلام يرفضها ، ويدعو إلى قيام المدنية الفاضلة التي تنبثق من أسسه وقواعده وقد أقام الإنسانية أعظم مدنية عرفها التاريخ .

ونحن المسلمين لا نعيش بمعزل عن هذا العالم ، لأننا جزء منه ، وقد تأثر نفر من أبناء الشرق بمظاهر تلك المدنية المنهارة ، و وقع في أسرها ، وأصبح من عبيدها ، فلم يعد الشعور بفساد مبادئها وسوء عاقبتها كافيا لأن تكون بمنجاة منها ، وصار من الضروري أن نعمل جاهدين للتخلص من نظام هذه المدنية وتحرير أنفسنا من ربقة قادتها من الغربيين وأتباعهم ، وإلا واجهنا المصير السيئ بالسقوط في الهوة المرتقبة التي ينحدر إليها العالم كله يومًا بعد آخر ، وسيلقى حتفه فيها إن عاجلاً أو آجلاً .

فالحياة الاجتماعية الحاضرة تقوم على مبادئ الزيغ والضلال ، والنظريات الخاطئة والأفكار الهدامة وهي التي تسود أنحاء العالم .

وأنظمة التعليم و وسائل التوجيه والإعلام تنضح بالشر ، وتثير الغرائز ، وتهتك الفضيلة وتقتل الأخلاق ، وتدعو إلى

الإباحية والتحلل ، حيث سيطرت على العقول الآداب الماجنة والصحافة الفاجرة ، والإذاعات اللاهية والأفلام الخليعة .

والنظام الاقتصادي الذي يتحكم في معيشة الناس نظام منحرف فاسد لا يعرف الخير من الشر ، ولا يميز بين الحلال والحرام .

والسلطة القانونية التي توجه المدنية وتسخر إمكانياتها تستوحي تصوراتها ، للأخلاق والتمدن من المبادئ المادية البحتة.

ولهذا يتحتم على المسلمين مقاومة هذه النظم بعزم حديدي لا يعرف الوهن ، حتى يستبدلوا بها شريعة الله لإنقاذ العالم كله ، أولاً من تلك العواقب الوخيمة ، وإنقاذ أنفسنا بالتالي منها ، وهذا أمر يحتاج إلى جهاد مرير متواصل للقضاء على أنظمة الحياة الفاسدة، وإقامة قواعد الحياة الإنسانية بشتى نظمها على شرع الله الذي نؤمن بصلاحه ، ونثق في قدرته على إسعادنا وتوفير الرفاه والسلام لنا ، ونعتقد أنه الوسيلة الوحيدة لنجاة الإنسانية كلها وخلاصها .

والمدنية الحديثة التي يقوم في ظلها نظام الحياة الحالي بمختلف فروعه العقائدية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية والثقافية ترتكز على دعائم ثلاث هي المبادئ الرئيسية الآتية :

١- العلمانية أو اللادينية (Secularism) .

٢- القومية (Nationalism) .

٣- الديمقراطية (Democracy) .

وهذه المبادئ الثلاثة خاطئة فاسدة ، وهي منبع الشرور والمصائب والمآسي التي تعاني الإنسانية من جرائها اليوم ما تعانيه .

أما كيف ننتقد هذه المبادئ ؟ وما المنهج الذي نسلكه في نقدها فهذا يحتاج إلى بحث مستفيض ، لا يتسع المقام للخوض فيها -راجع مزيدًا في التفصيل- في كتاب " الإسلام والمدنية الحديثة " أبو الأعلى المودودي : ص/٢٧ وما بعدها .

(يتبع)

الهوامش :

(١٤٦) راجع : شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ، أنور الجندي : ص/٥٣ ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

(١٤٧) المصدر السابق : ص/٧٤ .

(١٤٨) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : ص/٥٩ - مرجع سابق .

(١٤٩) الكنز ، معجم فرنسي عربي ، جزءان ، بيروت ، لبنان .

(١٥٠) راجع : " تاريخ الأستاذ الإمام " للسيد رشيد رضا : ج/٢، ص/٤٠١-٤١٤ .

(١٥١) راجع : المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري - ابراهيم النعمة : ط/٢ ، ص/٦ وما بعدها .

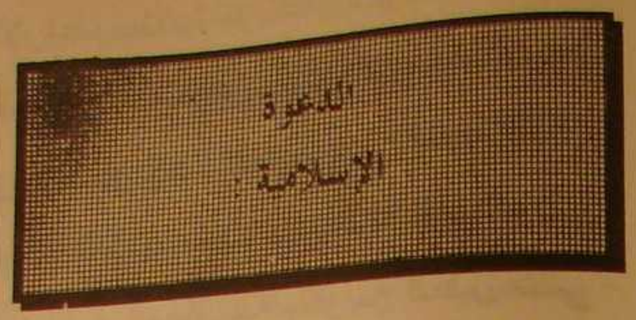

أدب العالم في درسه

بقلم: الدكتور
محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة " البحوث الإسلامية " - الرياض

لما رأيت اهتمام كثير من الأخوة التربويين بهذا الموضوع الذي طرقته في الحلقات السابقة ، تشجعت بالعودة إليه إفادة لنفسي ، وتلبية لرغبات كريمة ، مازجا تلك الآراء الإسلامية بما أراه محققا للفائدة ، إذ لما كانت التربية الحديثة ، لا تستند في نظرياتها وتجاربها ، إلا على ما يظهر للمفكرين منهم من الآراء والتجارب حول المعلم ، وما يحسن تهيئته من أجل المهمة الكبيرة المناطة به ، وما يراه التربوي من كيفية في توجيه تلاميذه ، وإيصال المعلومات إليهم ، بما يقارب نموهم العقلي والجسماني .

وكثير من أبناء المسلمين يفتتن بنظريات أولئك ، وما وصفوا من أسس يتوالى عليها أصحاب النظريات ، والآراء ، حتى إن الأول ، يأتي بعده من ينقض آراءه ، ويغير الأسس التي سار عليها في بناء نظريته وتقوية رأيه ..

وما ذلك إلا أن تلك الآراء مستمدة من عقيدة أولئك القوم ، ومنطلقاتهم التي تختلف عما لدى المسلمين ، لأن كل مفكر منهم يخضع وجهات نظره لمفهومه الذي يترجح عنده ، وفكره الذي يقوى في عقله ، ومعلوم أن البشر سمة أعمالهم القصور ، وديدن جهودهم الرضوخ للتجربة الممتزجة بتقوية العقل على النص ، ولذا فإن ما يتراءى لفلان منهم ، تختلف نظرة علان نحوه ، ومن هنا عرفت الأعمال التي تفتق عنها فكرهم باسم نظرية ، ولم تسم حقيقة في كثير من التجارب العلمية ، ومنها الأعمال : التعليمية والتربوية ، ومعلوم أن بين الحقيقة ، والنظرية فرقا كبيرا ، فالنظرية قابلة للتعديل والتبديل ، والحقيقة قطعية الثبوت .

ولذا فإن التربوي المسلم يجب أن يكون معينه الذي يستمد منه في استقاء المعلومات ، ذا اتجاهين : اتجاه يزيد حصيلته ، وينتمى طاقة تفكيره ، وهذا يستمده من المسلك الذي سار عليه أولئك ، مقرونا بالتمحيص والمتابعة ، مسترشدا بسابق خبرتهم، وقديم تجاربهم ومتابعتهم فيأخذ منهم الحسن ويترك ما لا يتلاءم مع بيئته .

واتجاه آخر وهو المهم يرسخ الاتجاه الأول ، وينقيه من الشوائب ، وهو المستمد من شريعة الإسلام بمصدريها : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لأن ما يأتي عنهما لا يقبل الجدل ، ولا الإخضاع للعقل ونظرياته ، ولا التجارب ومفاهيمها ، ألم يقل

سبحانه بعد بيان خطأ المجادلين في شرع الله : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ [سورة النساء ، الآية:٨٢] ، فعمر بن الخطاب لما رأى الناس بدأوا يتأثرون بالجدل ، والخضوع للنقاش العقلي حول القضايا العقدية والتعبدية ، ومناقشة الكيفية ، ولكن قال : اللهم إيمانا كإيمان العجائز .

وعند ما بدأت الأسئلة المتعنتة من الخوارج ، وأصحاب الأهواء المتأثرين بفلسفات الأمم المغلوبة ، وموروثاتهم العقلية، أجاب علي بن أبي طالب ﷺ عن سؤال يشكك طارحه في الأوامر الشرعية قائلا : لو كان الدين بالعقل لكان المسح على باطن الخفين أولى من المسح على ظاهرهما ، ولكن نأخذ الأمر عن الله وعن رسوله ونسمع ونطيع ، ومن هنا ندرك أن العقل يجب أن يخضع للدين ، وتكون مهمته الإرشاد إلى ما يمكنه من النفوس ، ومن هنا فإن كثيرا من التربويين المسلمين الذين درسوا في ديار الغرب ، مطالبون بعدم أخذ نظرياتهم قضية مسلمة ، بل يجب أن يأخذوا من قشورهم ، ما يغلفون به لباب معتقدهم الإسلامي ، ليكون من هذا المزج تربية تتواءم مع أسس دين الإسلام ، وركائز معتقداته .

والساحة الإسلامية وجهود أبنائها لم تكن خالية ، بل تطرق لهذا المجال كثير من علماء المسلمين وأجادوا في طرحهم، منهم ابن جماعة الكناني المتوفى عام ٧٣٣هـ ، الذي

تسير معه خطوات في أسس التربية المستمدة من قاعدة الإسلام .. فهو يقول في أدب العالم في درسه : عليه أن يراعى إثنى عشر نوعا :

الأول : التهيؤ للدرس : فإذا عزم على مجلس التدريس تطهر من الحدث والخبث ، وتنظف وتطيب ، ولبس من أحسن ثيابه اللائقة به ، بين أهل زمانه قاصدا بذلك تعظيم العلم ، وتبجيل الشريعة ، فقد كان مالك إذا جاءه الناس لطلب الحديث اغتسل وتطيب ، ولبس ثيابا جددا ، و وضع رداءه على رأسه ثم يجلس على منصته ، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ ، وقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ .

الثاني : الدعاء قبل الخروج إلى الدرس : فإذا خرج من بيته دعا بالدعاء الصحيح عن النبي ﷺ وهو : اللهم أني أعوذبك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو اظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل علي ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك " ويجلس مستقبل القبلة إن أمكن بوقار وسكينة وتواضع ، وخشوع متربعا، أو غير ذلك مما لم يكره من الجلسات ، ولا يجلس مقعيا ولا منتصبا فيها غير مطمئن ، ولا رافعا إحدى رجليه ، على الأخرى ولا مادا رجليه أو إحداهما من غير عذر ولا متكئاً على يده إلى جنبه وراء ظهره .

وعليه أن يصون بدنه عن الزحف والتنقل عن مكانه ، ويديه عن العبث والتشبيك بها ، وعينيه عن تفريق النظر من

غير حاجة ، ويتقى المزاح وكثرة الضحك ، فإنه يقلل الهيبة ، ويسقط الحشمة كما قيل : من مزح استخف به ، ومن أكثر من شئ عرف به ، ولا يدرس في وقت جوعه أو عطشه أو همه أو غضبه ، أو نفاسه أو قلقه ، ولا في حال برده المؤلم وحره المزعج ، فربما أجاب أو أفتى بغير الصواب ، لأنه لا يتمكن مع ذلك من استيفاء النظر .

الثالث : توقير الأفاضل في الدرس : وذلك بأن يجلس بارزا لجميع الحاضرين ، ويوقر أفاضلهم بالعلم والسن والصلاح والشرف ، ويرفعهم على حسب تقديمهم في الإمامة ، ويتلطف بالباقين ويكرمهم بحسن السلام ، وطلاقه الوجه ، ومزيد الاحترام ، ويلتفت إلى الحاضرين التفاتا قصدا ، بحسب الحاجة ، ويخص من يكلمه أو يسأله ، أو يبحث معه على الوجه عند ذلك بمزيد التفات إليه ، وإقبال عليه ، وإن كان صغيرا أو وضيعا ، فإن ترك ذلك من أفعال المتجبرين المتكبرين .

الرابع : ويبدأ درسه بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، ويسمى الله تعالى ويحمده ويصلى على النبي وعلى آله وأصحابه، ويترضى عن أئمة المسلمين ومشايخهم ويدعو لنفسه وللحاضرين ولوالديهم أجمعين .

الخامس : وإذا تعددت الدروس قدم الأشرف فالأشرف ، والأهم فالأهم ، فيقدم تفسير القرآن الكريم ثم الحديث الشريف ، ثم

أصول الدين ، ثم أصول الفقه ، ثم المذاهب ، ثم الخلاف أو النحو .

السادس : ومن آداب الدرس : أن لا يرفع صوته زائدا على قدر الحاجة ، ولا يخفضه خفضا لا يحصل معه كمال الفائدة ، ولا يسرد الكلام سردا ، بل يرتله ويرتبه ويتمهل فيه ، ليفكر فيه هو وسامعه ، وقد روى أن كلام رسول الله ﷺ كان فصلا ، يفهمه من سمعه ، وأنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لتفهم عنه .

السابع : أن يصون مجلسه عن اللغط فإن الغلط تحت اللغط ، وعن رفع الأصوات واختلاف جهات البحث ، فقد كان الشافعي إذا ناظره إنسان في مسألة فتعدى إلى غيرها ، يقول : نفرغ من هذه ثم نصير إلى ما تريد ، ويتلطف في دفع ذلك من بدايته قبل انتشاره وثوران النفوس ، ويذكر الحاضرين بما جاء في كراهية المماراة لا سيما بعد ظهور الحق ، وأن مقصوده بالاجتماع ظهور الحق وصفاء القلوب ، وطلب الفائدة وأنه لا يليق بأهل العلم تعاطى المنافسة والشحناء ، لأنها سبب العداوة والبغضاء ، بل يجب أن يكون الاجتماع ومقصوده خالصا لله تعالى ، لتتم الفائدة في الدنيا والسعادة في الآخرة ، ويتذكر قوله تعالى : ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾ [سورة الأنفال، الآية : ٨] ، فإن ذلك مفهم أن إرادة ابطال الحق ، أو تحقيق الباطل صفة إجرام ، فليحذر منه .

الثامن : أن يزجر من تعدى في بحثه ، أو ظهر منه لدد فيه ، أو سوء أدب ، أو ترك الإنصاف بعد ظهور الحق أو أكثر الصياح بغير فائدة ، أو إساءة أدبه على غيره من الحاضرين ، أو الغائبين أو ترفع في المجلس على من هو أولى منه أو نام ، أو تحدث مع غيره ، أو ضحك أو استهزأ بأحد من الحاضرين ، أو فعل ما يخل بأدب الطالب في الحلقة ، هذا كله بشرط أن لا يترتب على ذلك مفسدة تربو عليه .

التاسع : أن يلازم الإنصات في بحثه ، وخطابه ويسمع السؤال من مورده على وجهه ، وإن كان صغيرا ، ولا يترفع على سماعه فيحرم الفائدة .

وإذا عجز السائل عن تقرير ما أورده ، أو تحرير العبارة فيه لحياء أو قصور ، و وقع على المعنى ، عبر عن مراده وبين وجه إيراده ، و رد على من عليه ، ثم يجيب بما عنده ، أو يطلب ذلك من غيره ، ويتروى فيما يجيب به رده ، وإذا سئل عن ما لم يعلمه قال : لا أعلم أولا أدري ، فمن العلم أن يقول : لا أعلم.. وعن بعضهم إن : لا أدري نصف العلم .

وقيل ينبغي للعالم أن يورث أصحابه لا أدري .. لكثرة ما يقولها ، قال محمد بن عبد الحكيم : سألت الشافعي -رحمه الله- عن المتعة أكان فيها طلاق أو ميراث ، أو نفقة تجب أو شهادة؟؟ ، فقال -رحمه الله- : والله ما ندري .

ويجب أن يعلم أن قول المسئول : لا أدري لا يضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة ، بل يرفعه لأنه دليل عظيم على عظم محله ، وقوة دينه ، وتقوى ربه ، وطهارة قلبه ، وكمال معرفته ، وحسن تثبته ، وقد روينا معنى ذلك عن جماعة من السلف ، وإنما يأنف من قول لا أدري من ضعفت ديانته ، وقلت معرفته ، لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين ، وهذه جهالة ورقة دين ، وربما يشهر خطوه بين الناس فيقع فيما فر منه ، ويتصف عندهم بما احترز عنه ، وقد أدب الله تعالى العلماء لقضية موسى مع الخضر عليهما السلام حين لم يرد موسى -عليه السلام- العلم إلى الله تعالى ، لما سئل : هل أحد في الأرض أعلم منك ؟

العاشر : أن يتودد لغريب حضر عنده ، ويبسط له ، لينشرح صدره ، فإن للقادم دهشة ، ولا يكثر الالتفات والنظر إليه استغرابا له ، فإن ذلك مما يخجله ، وإذا أقبل بعض الفضلاء ، وقد شرع في مسألة أمسك عنها حتى يجلس ، وإذا جاء وهو يبحث في مسألة أعادها له ، أو مقصودها .

الحادي عشر : جرت العادة أن يقول المدرس عند ختم كل درس: و الله أعلم ، وكذلك يكتب المفتي بعد كتابة الجواب ، أو ، والله ولي التوفيق .

لكن الأولى أن يقال قبل ذلك كلام يشعر بختم الدرس كقوله: وهذا آخره ، أو : ما بعده يأتي -إن شاء الله تعالى- ،

ونحو ذلك ، ليكون قوله : والله أعلم ، خالصا لذكر الله تعالى ولقصده معناه .

ولهذا ينبغي أن يستفتح كل درس بـ (بسم الله الرمن الرحيم) ليكون ذاكرا لله تعالى في بدايته ، وخاتمته .

والأولى للمدرس أن يمكث قليلا بعد قيام الجماعة ، فإن فيه فوائد وآدابا له ولهم ، منها : عدم مزاحمتهم ، ومنها إن كان في نفس أحدهم بقايا سؤال سأله ، ومنها عدم ركوبه بينهم إن كان يركب ، وغير ذلك ، ويستحب إذا قام أن يدعو بما ورد الحديث به : " سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك " . [أخرجه الترمذي]

الثاني عشر : أن لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلا له ، لأن التقدم لمعالي الأمور قبل امكان أصولها ، وضبط طرقها عجلة وشهوة نفسية ، توجب لصاحبها الفضيحة ، دنيا وأخرى ، قال ﷺ : "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور" [أخرجه البخاري ومسلم] وعن الشبلي : من تصدر قبل أوانه ، فقد تصدى لهوانه، ولبعضهم في تدريس من لا يصلح :

تصدر للتدريس كل مهوس
جهول يسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا
ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها
كلاما و حتى سامها كل مفلس

[مختصر تذكرة السامع : ص/٢٦]

شجاعة العلماء : جاء في كتاب معالم الإيمان أن القاضي عبد الرحمن المعافري هو أول مولود في الإسلام بعد فتح

أفريقية ، وبعد ما كبر شارك في الجهاد ضد الأفرنج فكان يقول : أسرني طاغية الأفرنج أنا وجماعة من أصحابي ، فبينما نحن في حبسه إذ غشيه عيد فبعث إلينا بأصناف الطعام وأحسن إلينا ، فاتصل ذلك بامرأته - وكانت نفيسة عنده - فمزقت ثيابها ونشرت شعرها ، وقالت للملك : إن العرب قتلوا أبي وأخي وزوجي ، وأنت تفعل بهم الذي رأيت .

فغضب وقال : علي بهم ، فصرنا بين يديه سماطين ، فأمر سيافا أن يضرب عنق رجل بعد رجل ، حتى قرب الأمر مني ، فحركت شفتي ، وقلت : الله الله الله .. لا أشرك به شيئا ولا اتخذ من دونه وليا -ثلاثا- ، وأبصر فعلي فقال : قدموا شماس العرب -يريد عالمهم- فقال لي : ما قلت ؟ فأعلمته ، فقال لي : ومن أين علمته ؟ فقلت : نبينا محمد أمرنا بهذا ، فقال : وعيسى أمرنا به في الإنجيل ، وأطلقني ومن معي .

وقال حاتم بن عثمان : كنت عنده والكآبة بادية عليه ، حتى أتاه شاب ومعه مخلاة فيها بصل ، فأسر إليه كلاما فأسفر وجهه وتبسم ، فقال لغلامه : جئنا بالفول الذي طبختموه البارحة فجاء به ، فقال : أقرب أبا عثمان ، فقلت : لا ، قال : ولم أظننت ظنا ؟ قلت : نعم ، فقال : أحسنت يا أبا عثمان ، إذا رأيت الهدية دخلت دار القاضي فاعلم أن الأمانة قد خرجت كوى الدار ، ليس هو هدية ، إنما هو مولاى أتى بهذا البصل من ضيعتي ، فقلت له : إني رأيتك مغموما ، فلما أتاك غلامك هذا ، تطلقت وتبسمت وأسفر وجهك ؟ فقال : إني أصبحت فذكرت بعد عهدي بالمصائب، فخفت أن أكون قد سقطت من عين الله ، فلما أتانى هذا الغلام ، ذكر لي أن أكفأ عبيدي وأقومهم بضيعتي قد توفي ، فزال عني بعض الغم واسترحت .

وفي ولاية يزيد بن حاتم على القيروان عزل نفسه عن القضاء وكسر خاتمه ورحل إلى تونس وتوفي بها ، وقيل سبب وفاته أنه أكل سمكا وشرب عليه لبنا . [٢٣٣/١]

قراءة في كتاب

هداية البيان في تفسير القرآن

تأليف : معالي الشيخ راشد عبد الله الفرحان (حفظه الله)

عرض : الأستاذ عبد الخالق عبد القادر الأعظمي الندوي

القرآن الكريم هو كتاب الله (الخالد ، فيه نبأ ما قبلنا ، وخبر ما بعدنا ، وحكم ما بيننا ، وهو حبل الله (المتين ، وهو النور المبين، وهو الصراط المستقيم ، وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب، ولا يخفق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذي لا تلتبس به الأهواء ، ولا يشبع منه العلماء .

والقرآن الكريم عند ما نزل لم يقتصر على علم دون علم ، وإن كان غرضه الهداية العامة للناس ، ولم يكن لعصر دون عصر ، ولا لبيئة دون أخرى ، وإنما أنزل للإنسانية حاضرها وباديها ، وحاضرها ومستقبلها ، حين تأهلت ، وأصبحت رشيدة ، ذات عقل وإدراك ، فأصبحت أهلا للرسالة العالمية ، قال تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ([سورة البقرة ، الآية : ٢١] .

وهذا الكتاب العظيم هو خلاصة ما أنزل (من وحي من أبينا آدم -عليه السلام- إلى عيسى بن مريم -عليهما السلام- ،

وقد توافر له من الحفظ ما ضمن له الخلود ، ولا يوجد في الأولين والآخرين كتاب درسه الدارسون ، وألف في علومه المؤلفون ، وصنّف فيه المصنفون ، مثل القرآن الكريم ، فهذا أمر خاص بالقرآن الكريم لا يشترك معه فيه كتاب لا من قبله ولا من بعده ، ذلك لأن كل ذي فن أو اتجاه خاص يحد فيه ما لا يلائم فنه واتجاهه ، فالنحاة يعتنون بالمعرب منه ، والمبنى من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها ، والأصوليون يعتنون بما فيه من الأدلة العقلية ، والشواهد الأصلية والنظرية ، فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله و وجوده .. والأديب تأخذه ألفاظه وتراكيبه الرائعة ، والمؤرخ تثيره قصصه عن السابقين وتحدثه عن وقائع تكشف الأيام عن صدقها ، وعالم الذرة والمشتغلون بعلوم الفضاء يرون فيه توجيهات رائدة سبق إليها منذ مئات السنين ، وعالم التشريح وعالم النفس يقف فيه على منابع فياضة يجد فيها منهاجًا نفسيًا متكاملاً وإعجازًا وهو يتحدث عن أجهزة الإنسان العصبية(١) .

ومن أجل ذلك نرى أن الزمن هو الذي يجلى معانيه ، على مر الأيام ، وإن خير تفسير له هو الزمن .

والقرآن الكريم بهذا جديد باستمرار ، غض طرى على الدوام ، لا تنقضى عجائبه ، ولا يبلى على الزمن ، وكل شرح له مهما استفاض لا يؤدى كل معانيه ، فالحديث في القرآن ، وعن القرآن لا ينتهى ، إنه لا يحده فكر بشري ولا يقيده تصور إنساني.

وانطلاقًا من هذا الفكر الصافي قدم أستاذنا الجليل معالي الدكتور راشد عبد الله أحمد الفرحان -حفظه الله- ورعاه تفسيرًا له للقرآن الكريم بعنوان : " هداية البيان في تفسير القرآن الكريم".

ومعالي الشيخ راشد عبد الله أحمد الفرحان من مواليد ١٩٣٠م في أسرة علمية متدينة في دولة الكويت ، تلقى التعليم البدائي في دولة الكويت ، ثم ساقته نهامته من العلم إلى مصر حيث أكمل الدراسات العليا في الأزهر الشريف على أساتذته البررة ، وبعد رجوعه من مصر إلى دولة الكويت تولّى مهام المنصب ، منصب وزير الأوقاف والشئون الإسلامية ، وانتخب عدة مرات كعضو في مجلس الأمة الكويتي والآن هو وزير متقاعد يعمل في حقل العلم ، وصدر منه عدة كتب مفيدة مثل كتاب "مشكل القرآن الكريم" و "الأيمان المعاصرة" و "تاريخ دولة الكويت" وما إلى ذلك من كتب مفيدة حظيت بالقبول والإعجاب من الأوساط العلمية .

وهذا الكتاب العظيم الذي نحن بصدده هو في الحقيقة خلاصة درس يلقيه معاليه في كل أسبوع يوم السبت ما بين صلاة المغرب والعشاء أمام حشد كبير من العلماء والدكاترة ، يقول عنه(٢) : لدى مطالعتنا لكتب التفسير رأينا أن الحاجة ماسة لتفسير وسط ما بين المطولات والمختصرات ، ما يحتاجه العالم ، ولا يستغنى عنه القارئ المتعلم ، فاستعنا بالله تعالى بعمل هذا التفسير الذي نرى القيام به فرضًا واجبًا لأمرين ، أولهما : لتجدد

الواقع في المجتمعات وثبوت آيات القرآن ، الذي لا تنتهي فوائده ، ولا تنقضي عجائبه ، لم يؤثر فيه تغير المكان ولا مرور الزمن ، بل زاد إيمان المؤمنين به على إيمان ، فكلما نظرت فيه وجدت نفسك كأنك تقرؤه لأول مرة ، وثانيهما : أن تعلم القرآن وتعليمه للناس واجب على كل مسلم ومسلمة ، بل إن الإسلام نهى عن كتمان العلم عن الناس وذم المتقاعسين والمتخلفين عن حمل الدعوة للناس، ويكفي فضل تعلم القرآن وتعليمه ، قول النبي ﷺ : " خيركم من تعلم القرآن وعلّمه " (٣) .

ويقول عن منهجه الذي سار عليه في التفسير : جعلنا تفسير كل آية بعدها ، مع إعادة ذكر كل نص يحتاجه الشرح ليجمع القارئ بين القراءة والتفسير ، و وضعنا أرقامًا متسلسلة لتفسير كل آية ليكون التفسير مسايرًا لآي القرآن ، كل ذلك مع المحافظة على ربط المعنى بين الآيات والسور ، و وصل بعضها ببعض وذلك حرصًا على وحدة النظم ، و وحدة الموضوع .

ثم يقول : حاولنا بقدر المستطاع وضع التفسير العلمي والكوني في مكانه المناسب بما تدل عليه الآيات ، مع المحافظة على المعنى اللغوي ، وهذا يدل بوضوح بما يشاهده الإنسان ، وما توصل إليه العلم الحديث من تجارب بأن القرآن الذي نزل قبل خمسة عشر قرناً من الزمان هو كتاب الله ، وكلامه الذي لا يتبدل ولا يتغير ، نقله الرسول ﷺ من عند الله بكل أمانة وصدق .

ويقول عن التفسير والتأويل : " التفسير إخراج الشئ من مقام الخفاء إلى مقام الجلاء ، والتأويل : نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ ، فهو مأخوذ من قولك آل الشئ إلى كذا ، أي صار إليه ، وجمهور المفسرين على أنهما بمعنى واحد ، وهذا ما انتهجوه في كتبهم ، والغالب على عملهم ، وهذا ما انتهجناه في شرح المعنى الإجمالي ، إذ لا يتضح معنى كثير من الكلمات القرآنية ، والآيات أحيانًا إلا من مجمل الموضوع ، وربط الآيات بعضها ببعض ، ورد بعضها على بعض ، وتفسير الآيات بالآيات ، القرآن بالقرآن ، واستعنا بالله لاستجلاء معاني العقائد ، وفهم مقاصدها ، والمراد منها ، كما حاولنا جهدنا تفسير مشكل كثير من الآيات التي التبس معناها وفهمها على كثير من المفسرين ، مما قيل إنها متعارضة مع آيات أخرى وحرصنا على الجمع بين الآيات ، دون أن يكون فيها أية إشكالات في فهم معناها ، أو يسيئ إلى أيّ شخصية طاهرة ذكرها القرآن ، مما لا يتفق وروح القرآن وقواعد الشريعة وتنزيه الأنبياء .

وفي النهاية يقول : لقد استبعدنا ما سطرته بعض كتب التفسير من الآراء الشاذة الغريبة عن الشريعة ، والأحاديث المنكرة ، والضعيفة ، كما أغفلنا ذكر الأخبار الإسرائيلية ، التي أغناها الله عنها بما هو أصح منها وأنفع وأوضح وأبلغ ، وغالب ذلك مما لا يتعلق به كبير فائدة (٤) .

نماذج من تفسيره :

يقول في قصة الملكين هاروت وماروت إن الملكين رجلان لعدة أسباب (٥) .

١- سكناهما بابل إذ هي بلد بالعراق ، والملائكة لا قرار لهم في مكان معين فذلك من علم الله الذي اختص به ، ويؤيد ذلك قراءة ملكين بكسر اللام ، وهي مروية عن ابن عباس ﷺ ، والحسن ، وسعيد بن جبير .

٢- كثيرًا ما يذكر القرآن ما اصطلح عليه الناس من إطلاقات ، كما في قصة يوسف حيث أطلق عليه ملك كريم (ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم) ويوسف بشر .

٣- تصدي الملائكة لتعليم الناس الشر والسحر الذي برأ الله منه رسله ، يتنافى مع حقيقة الملائكة الذين خلقوا للخير والهداية ، وأما الشر والسحر والكفر فمن دأب الشياطين وأبناء إبليس بل إن الناس بقدر ما عرفوا من عنصر الخير بالملائكة صاروا يصفون الإنسان الطاهر ، فيقولون فلان ملاك .

ويقول في تفسير آية ما ننسخ من آية (٦) : وقد تطلق الآية على الشريعة والنبوءة ، فيكون المعنى : ما ننسخ من شريعة أو نبوءة أو رسالة مما سبق ، ويكون المقصود من الآية ، إنما هو التعريف بالكفار من أهل الكتاب والمشركين حيث كانوا يستكثرون الخير الذي اختص الله به نبيه محمدًا ﷺ ومن تبعه من المؤمنين ،

ويحسدونهم على ذلك كما أشارت إلى ذلك الآية السابقة ، فصاروا لا يفتأون يؤذونه بانتهاز كل فرصة لتعويق دعوته .

وبتلاوة ما قبل الآية وما بعدها يتضح معناها فأول الآيات قوله في سورة البقرة : (ما يودّ الذين) ثم يأتي بعدها ما ننسخ من آية ، وكان اليهود يستأثرون بالنبوءة بأنفسهم ، ويحسدون العرب على أنها جاءت فيهم وكان حسدهم للنبي ﷺ أشد ما يكون ، وهو : (النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل) ثم انظر بقية الآيات التالية لتستخلص منها المعنى .

(أو ننسسها) أي نجعلها منسية كأن لم تكن ، فلا تذكر ، وهذا ما لا يصح أن ينطبق على آيات القرآن التي تكفل الله بحفظها فلا تنسى ، و الله يقول : (سنقرئك فلا تنسى) و (لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه) وإزالة الآيات الكونية والشرائع السابقة أو نسيانها وارد ، وفيه أدلة كثير : (و نسوا حظاً مما ذكروا به) وقوله في سورة الأعراف : (فلما نسوا مما ذكروا به) .

ويقول عن نقص الأرض من أطرافها (٧) : وردت في القرآن الكريم آيتان تتحدثان عن نقص الأرض ، الأولى في سورة الرعد ، قوله تعالى : (أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها * والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب) [الآية: ٤١] ، والثانية هذه الآية : [سورة الأنبياء ، الآية : ٤٤] ، وكلمة الأرض في القرآن الكريم وردت بعده معان : منها الأرض

الكروية بمجموعها ، و وردت بمعنى الجزء منها وهي البلد والمدن والأرياف والصحارى ، والجبال والوديان ، وأطراف الأرض هي الأماكن البعيدة عن مركزها أو عن وسطها ، وأطراف كل بلد : هي الأماكن النائية فيه عن المدن الرئيسية ، وهي القرى والأرياف والصحارى والوديان والحدود ، وغالبًا ما تكون هذه الأماكن هي الغنية بالمعادن والمواد الأولية ، والزراعة والثروة الحيوانية ، بل قل : إنها مصدر رزق المدن الكبيرة وعواصم العالم .

والنقص هو البخس وعدم الكفاية وبخاصة إذا كان النقص في الرزق اللازم للعيش فإنه يولد الخوف والجزع ، والتهالك والنزوح من مكان إلى مكان آخر ، طلبًا لأحسن منه ، وقد بين القرآن الكريم أن النقص يكون في الأموال و الأنفس و الثمرات (٨) ، وهي تعنى المعادن الخام والزراعة ، والزراعة تشمل كل ما له ثمر يقتات عليه البشر ، وهذا يعني أنه عندما تقل الموارد الطبيعية كنضوب البترول ، وقد حصل في بعض البلدان بعد أن كانت مصدرة صارت مستوردة -جفاف الأنهار- وقد حصل أن جفّت العديد من أنهار العالم وبحيراته ، وجداوله ، وانحباس المطر ، وهو ما يسمى بسنين الجفاف وقد حصل ذلك في العديد من بلدان العالم ، ومنها دول أفريقية ، ومن نتيجة ذلك أن تدافع الكثير من سكان الأرياف والقرى إلى العواصم والمدن الرئيسية ، تاركين أرضهم ومسقط رأسهم ، طلبًا للقمة العيش

والرزق ، بل إن الكثير منهم هاجر إلى بلدان أخرى ، فكان من نتيجة ذلك أن زاد عدد السكان في العواصم ، وقل في الأرياف والقرى أو نقص ، وقد دلت الإحصاءات العالمية الأخيرة ، على تأكيد ذلك بالأرقام ، وهذا هو نقص أطراف الأرض في الآيتين ، والتعبير بنقص أطراف الأرض ، المراد منه أهل الأرض الساكنين في أطرافها ، وهو مثل قوله تعالى : (و اسأل القرية) إذ المراد أهل القرية ، وهو استعارة مكنية عند أهل البلاغة .

والخلاصة في ذلك أن النقص ليس في الأرض ولا في أطرافها ، وإنما هو نقص في مواردها الطبيعية جعل السكان يتنقلون من مناطقهم وأماكن تجمعهم ، زاحفين إلى المدن والعواصم التي ضاقت وازدحمت بمن فيها ، ولذلك قال الله -عزوجل- من أطرافها ، وفي ذلك بداية الأزمات في العالم ، أعاذنا الله منها .

ويقول في قصة الغرانيق (٩) : أما ما ذكره بعض المفسرين اعتمادًا على بعض الروايات الضعيفة من أن سبب نزول هذه الآيات أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم لما نزلت عليه حتى بلغ : (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) فألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلي وإن شفاعتهن لترتجى ، فلما سمعت قريش بذلك فرحوا ، فأتاه جبريل ، فقال : تلوت ما لم آتك به عن الله فحزن الرسول حزناً شديدًا فنزلت هذه الآية تطمينا لقلبه ، وإعلامًا له أن الأنبياء قد جرى لهم مثل هذا

أقول : قال العلماء المحققون هذا لا يصح ويتنافى مع العصمة ، ومخالف للقرآن والسنة ، ولم يصح في ذلك شئ عن رسول الله ﷺ ، وأما تفسير "تمنى" بـ "يقرأ" فغير صحيح في سياق الآية ، فليس كل نبي ولا كل رسول قبل النبي محمد له كتاب يقرأ منه فكيف يستقيم تفسير التمنى بالقراءة ، ولا ضمير على الأنبياء والرسل من التمنى لأمور الدنيا فهم بشر وليسوا ملائكة .

ويقول في تفسير : (بلى قادرين على أن نسوّى بنانه)(١٠) : والملاحظ أن أعضاء الجسم كالعين والأنف والأذن وغيرها تتشابه بين إنسان وآخر ، ولكن الأصابع لها ميزات خاصة فهي لا تتشابه ولا تتقارب ، وهذه الميزات لم تعرف إلا في العصر الحديث أي بعد نزول القرآن بثلاثة عشر قرنًا ففي سنة ١٨٨٤م استعملت رسميًا في إنجلترا طريقة التعرف على الإنسان بواسطة بصمات الأصابع ، واليوم تستعين الأدلة الجنائية ، بما تتركه أصابع يد الإنسان وراءها من آثار على اكتشاف شخصية المجرم، وهي دليل قاطع في التمييز بين شخص وشخص مهما بلغ العدد من الكثرة ، وهذا من إعجاز القرآن الذي تحدث ونبّه عن شئ مهم لمصلحة المجتمع .

يقول عن مدى انطباق الآية (والنازعات ..) على المخترعات الحديثة (١١) : إن الأثر الذي تتركه النازعات أيًا كان نوعها ، والوصف الذي وصف به فعلها ، لا يخرج المدافع

والصواريخ الحديثة بأنواعها من اسم النازعات ، فهي تنزع الأرواح والقلوب وكل شئ أمامها ، وأما الناشطات ، ومدى سرعتها وتحركها من موضع إلى موضع فذلك هو وصف المقاتلات النفاثة من الطائرات وما يلحق بها والتي تنشط في نقل الناس من بلد إلى بلد ، وأما السابحات فذلك وصف من دون شك ينطبق على السفن البحرية والفضائية ، وأما السابقات وإن كان هذا وصفا يصح أن يطلق على الخيل لكنه في السيارات أوضح .

هذا ! وإذا أحب القارئ المسلم أن يقرأ تفسيرًا كاملاً للقرآن الكريم بلغة سهلة عذبة بسيطة لا تعقيد فيها ولا تطويل كما لا خرافة فيها ولا أسطورة ولا شعوذة ولا شيئًا من الإسرائيليات المذمومة التي حشيت بها التفاسير فعليه بتفسير : "هداية البيان في تفسير القرآن" لمعالي الشيخ راشد عبد الله الفرحان -حفظه الله- الذي فسر فيه القرآن تفسيرًا يعتبر نموذجًا فريدًا بين التفاسير ، ترك فيه الموضوعات والآراء البعيدة عن الصواب ، والناظر في هذا التفسير يجد فيه فهمًا واعيًا وخبرة دقيقة واطلاعًا واسعًا .

الهوامش :

(١) انظر التفصيل في الاتقان -للسيوطي : ج/٢ ، ص/١٢٦-١٢٧ .
(٢) مقدمة : ص/٥ . (٣) رواه البخاري . (٤) مقدمة : ص/٦-٧ .
(٥) هداية البيان : ج/١ ، ص/٥٢ . (٦) هداية البيان : ج/١ ، ص/٥٤ .
(٧) هداية البيان : ج/٣ ، ص/٥٥-٥٦ .
(٨) قال الله تعالى في سورة البقرة ، الآية : ١٥٥ : (ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات * وبشر الصابرين).
(٩) هداية البيان : ج/٣ ، ص/٨٢ . (١٠) هداية البيان : ج/٤ ، ص/٣٣٧-٣٣٨ .
(١١) هداية البيان : ج/٤ ، ص/٣٦١ .

الفقه الإسلامي والمشكلات الحديثة :

شروط النكاح والاشتراط فيه

[الحلقة الرابعة الأخيرة]

بقلم : الأستاذ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي

أستاذ دار العلوم سبيل السلام - حيدرآباد

اشتراط قبل إنشاء العقد ::

فمن المسلم أن الطلاق لا يقع إلا إذا سبقه محله ، وهو النكاح ، ولكنه إذا أضيف إلى ملك النكاح قبل إنشاء العقد سواء كان الملك عاما أو خاصا (١) فيقع أيضا عقيب النكاح ، وهو قول المالكية والحنفية ، وبه قال عمر بن الخطاب ﷺ ، وابن مسعود ﷺ، وابن عمر ﷺ ، وأبوبكر بن عمرو بن حزم ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وشريح ، والزهري ، وسعيد بن المسيب - والنخعي ، والشعبي ، ومكحول ، وسالم بن عبد الله ، وعطاء ، وحماد بن سليمان ، والأوزاعي ، والقاسم ، وعمر بن عبد العزيز، وابن أبي ليلى (٢) خلافا للشافعي وأحمد وغيرهما (٣) .

وردت أحاديث متعارضة ، وآثار للصحابة متناقضة ، فمنها من استدل بها كالشافعي وأحمد وغيرهما من العلماء ، ولكن فيها كلام ، تكلم فيها العيني وابن الهمام وضعفاها بوجوه شتى (٤) ، وإن سلمنا ، فنقول : الأحاديث التي تدل على أن لا طلاق قبل

النكاح ، فهي محمولة على التنجيز ، ولا نقول به أيضا ، والحمل عليه مأثور عن السلف ، كالشعبي ، والزهري وغيرهما ، كما مر ذكرهم (٥) وعلله برهان الدين المرغيناني حسب مذاقه :

" إن هذا تصرف يمين ، لوجود الشرط والجزاء ، فلا يشترط لصحته قيام الملك في الحال ، لأن الوقوع عند الشرط ، والملك متيقن به عنده " (٦) .

مثلا أن يقول لامرأة : " إن تزوجتك فأنت طالق " ، أو " كل امرأة أتزوجها فهي طالق "، فيقع إذا وجد الشرط وهو النكاح(٧).

كذلك إذا كان التفويض مضافا إلى ملك النكاح ومعلقا به ، مثلا أن يقول : " إن تزوجتك فأمرك بيدك " ، أو قالت : " إن زوجت نفسي منك ، فأمري بيدي ، وقبله الزوج ، ثم انعقد النكاح، فيجوز ، والأمر بيدها ويقتصر على المجلس ، بأن اختار الطلاق أو الزوج ، وإن كان مثل هذا الاشتراط من جانب المرأة ينافي مقتضى العقد ، يبطل الشرط ويصح العقد ، ولكن هذا الزوج فوض أمره بيدها معلقا بإنشاء العقد ، لأن السؤال معاد في الجواب (٨) ، ولا يقال : إن التفويض قبل النكاح باطل (٩) ، لأن الفويض علقه الزوج بإنشاء العقد ، ولا يوجد ما يعلق به قبل تحقق الشرط وهو النكاح ، فلما وجد الشرط ، صار الأمر بيدها عقيبه لا قبله .

وإن قالت : إن زوجت نفسي منك فأمري بيدي إذا ضربتني بغير جناية ، أو قالت : فأمري بيدي كلما ضربتني ، وقبله الزوج

في كلتا الصورتين ، يصير الأمر بيدها بعد التزوج في ذلك المجلس فحسب ، ولكن في الصورة الأولى إذا وجد الشرط انحلت اليمين ، لأنها لا تقتضي العموم والتكرار ، فبوجود الفعل مرة يتم الشرط ، وبقاء لليمين بدونه ، بخلاف الصورة الثانية ، جاءت فيها كلمة " كلما " يتكرر الحنث حتى تستوفى الطلقات الثلاث المملوكات في هذا النكاح لأنها توجب عموم الأفعال (١٠) .

اشتراط في حال العقد :

وأما إذا كان مقارنا لإنشاء العقد ، فله نوعان : أما أن يبدأ الزوج بالإيجاب ، بأنه نكح امرأة على أن أمرها في الطلاق بيدها، ذكر محمد في الجامع أنه يجوز النكاح والطلاق باطل ولا يصح التفويض ، لأن الزوج قد ملكها تطليق نفسها قبل أن يتم العقد ، والتفويض قبل النكاح لا يصح (١١) والثاني أن تبدأ المرأة بإيجاب النكاح ، كأن تقول له : تزوجتك على أن طلاقي بيدي ، أو قالت : زوجت نفسي منك على أن أمري بيدي أنا أطلق نفسي كلما أريد ، أو متى أريد ، أو إذا أردت ، وقبله الزوج ، فيصير الأمر بيدها بعد النكاح ، لأن الزوج لما قال بعد إيجاب المرأة قبلت ، ولأن الجواب يتضمن إعادة ما في السؤال ، صار كأنه قال : قبلت على أن يكون الأمر بيدك ، فيصير مفوضا بعد النكاح (١٢) وفي الصورة التي قالت فيها : تزوجتك على أن طلاقي بيدي ، فيكون الأمر بيدها في مجلس إنشاء العقد ، إذا انتهى المجلس ، فلا حق لها أن تطلق نفسها بعدئذ ، وفيما سواها من

الصور المذكورة ، يكون لها الأمر بعد انقضاء مجلس العقد أيضا، ولكن تنحل اليمين بمرة واحدة ، إلا في كلمة : " كلما " لأنها توجب تكرار الأفعال كما مر .

الاشتراط بأنه إن طلقها فلها عشرون ألفاً ، وإلا عشرة آلاف مهر:

واشترط المرأة حال العقد ، بأن الزوج إن طلقها ، فلها عشرون ألف مهر ، وإن لم يطلقها ، فلها عشرة آلاف ، وقبل الزوج .

الاشتراط بأن لا يتزوج عليها امرأة :

وإن اشترطت المرأة مقارنا لإنشاء العقد ، بأن لا يتزوج الزوج عليها امرأة من نساء العالمين ، وإن تزوج عليها ، فلها ثلاثون ألف مهر ، وإن لم يتزوج عليها أخرى ، وهي لا تزال في نكاحه ، فلها خمسة عشر ألف مهر .

حكم المشروطين : ولا شك أن النكاح مع هذين الشرطين جائز ، فلا اختلاف لأحد من أئمتنا فيه ، لأن النكاح لا يبطله الشروط الفاسدة (١٣) وجرى الاختلاف فيما لو وفي بالشرط ، أو لم يف به، فأي مهر يلزمه ؟ هل يجب عليه المهر المسمى ، أو مهر مثلها ؟ فعلى رأي أبي يوسف ومحمد -رحمهما الله- كلا الشرطين جائزان ، ولها ما سمى على وفق إيفاء الشرط وعدم إيفائه ، وعلى رأي زفر -رحمه الله- كلا الشرطين فاسدان ، ولها مهر المثل ، وعلى رأى أستاذهم الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- لها المسمى عند الوفاء به ، ومهر مثلها عند عدم الوفاء به (١٤) ،

يعني إن لم يطلقها فلها عشرة آلاف أي المهر المسمى ، وإن طلقها فلها مهر المثل ، وكذا إن لم يتزوج عليها أخرى أثناء الزوجية فلها خمسة عشر ألفا المهر المسمى ، وإن تزوج عليها ، فلها مهر المثل ، وقد وضح في التاتارخانية منشأ الخلاف :

" هذه المسألة بناء على أن الموجب الأصلي في باب النكاح عند أبي حنيفة -رحمه الله- مهر المثل ، وإنما يصار إلى المسمى عند صحة التسمية من كل وجه ، وعندهما الموجب الأصلي المسمى ، وإنما يصار إلى مهر المثل عند فساد التسمية من كل وجه " (١٥) .

وإني أرى قول الإمام الأعظم أبي حنيفة معتدلا ، يؤيده الأصول ، كما بين الزيلعي وجهه مرجحا قول الإمام أبي حنيفة - رحمه الله- بقوله :

" لأن إحدى التسميتين منجزة والأخرى معلقة ، فلا يجتمع في الحال تسميتان ، فإذا أخرجها ، فقد اجتمعتا ، فتفسدان ، وهذا لأن المعلق لا يوجد قبل شرطه ، والمنجز لا ينعدم بوجود المعلق، فيتحقق الاجتماع عند وجود الشرط ، لا قبله " (١٦) .

ولأن الشرط لعدم التزوج عليها أخرى ، وعدم التطليق ينافي مقتضى العقد ن لأن فيه المنع عن الأمر المشروع (١٧) ، وقد مر من قبل أن الشروط المخالفة للشرع لا يلزم الوفاء بها بل إنها باطلة وحدها والعقد صحيح ، مفاده أنه لما بطل الشرط تعين المنجز هو المسمى .

ثم قول الإمام أن البدل الأصلي هو مهر المثل ، يوافق ظاهر الحال ، فلا يعدل عنه إلا عند صحة التسمية من كل الوجوه ، قال صاحب الهداية :

" والظاهر شاهد لمن يشهد له مهر المثل ، لأنه هو الموجب الأصلي في باب النكاح (١٨) " علم من ذلك أن صاحب الهداية يميل إلى اختيار قول الإمام : كذلك تفيد عبارة تبيين الحقائق والعناية أن ميلان الزيلعي وأكمل الدين بابرتي إلى رأى الإمام(١٩) .

فالحاصل أن رأى الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- أقوى ومؤيد بالدلائل والأصول ، ورأى الصاحبين أرفق للناس ، فليتأمل المفتي بنفسه عند الإفتاء .

اشتراط الزوجة البقاء على عملها حين العقد :

والزمان يتقدم إلى الرقى الازدهار في كل مجال من مجالات الحياة وشئونها ، والناس يبذلون محاولات جبارة في تسابق بعضهم بعضا ، ولا تفتر عاطفتهم ، حتى الفتيات القوارير لا يتخلفن عن الرجال في كل مجال ، خصوصا الهتافات الخلابة الرسمية أن حقوقهم لا تقل عنهم ، ولهن حق مستقل أن يعملن في كل شعبة من شعوب الدولة ، أورثت في نفوسهم حماسة التقدم والمسابقة فيها ، فنتيجة لا تخلو شعبة من شعبها إلا وفيها امرأة موظفة ، وإن لم تخلق لها ، وهذا من سوء حظ الإنسانية لم تلبث النساء المسلمات أن تاقت نفوسهم إلى الوظيفة الرسمية أيضا ،

فتلحق بعضهن بها قبل عقد الزواج ، وبعضهن ما زلن يحاولن لنيلها واللحاق بها ، فلو اشترطت إحداهن عند إنشاء العقد البقاء في عملها ، أو لا يمنعها الزوج من اللحاق بالوظيفة إن ظفرت بها في المستقبل ، فهذا الشرط لا يلزم الوفاء به ، والشرط ملغى باطل والعقد صحيح وهو قول الحنفية (٢٠) ، والشافعية (٢١) ، لأنه يخالف مقتضى العقد ، ولا يجيزها الشرع خصوصا في العصر الراهن إذ هو عهد الشر والفساد ، وصحيح عند الحنابلة والمالكية ، والحنابلة أوجبوا الوفاء به ، ولكن المالكية لم يوجبوه بل كرهوه (٢٢) .

وإن منعها الزوج عن العمل فيها ، وجب عليها الامتناع ، وإلا تعد ناشزة ، ولا نفقة لها عليه ، لأنها خرجت بغير حق يوجب الخلل في حقه ، بناء عليه لم يجوز الفقهاء إيجار نفسها لإرضاع صبي وهي لا تخرج من البيت (٢٣) ، حتى منعوها من إرضاع ولدها من غيره وتربيته ، قال ابن عابدين معللا له :

" لأنها في الإرضاع والسهر تتعب ، وذلك ينقص جمالها ، وجمالها حق الزوج ، فكان له أن يمنعها (٢٤) " .

وقال أيضا نقلا عن التاتارخانية عن الكافي في إجارة الظئر:

" وللزوج أن يمنع امرأته عما يوجب خللا في حقه (٢٥) " .

فللزوج أن يمنع زوجته عن البقاء في عملها و وظيفتها الرسمية ، وإن لم تمتنع فتسقط النفقة عنه بما تصير ناشزة بمخالفة أمره .

اشتراط بعد العقد :

وإذا كان التفويض المعلق بعد عقد الزواج أثناء الزوجية ، فيصح بلا خلاف ، مثلا قال رجل لامرأته : " أمر ثلاث تطليقات بيدك ، إن أبرأتني عن مهرك " أو قالت : " وكلني على أن أطلق نفسي " فقال لها : " أنت وكيلتي لتطلقي نفسك " ، فقامت عن مجلسها ، خرج الأمن من يدها حتى لو طلقت نفسها ، لا يقع ، لأن توكيل المرأة بطلاقها نفويض ، فيقتصر على المجلس ، وإن طلقت نفسها في المجلس ، فإن أبرأته عن المهر أولا طلقت ، وإن لم تبرأه لا تطلق ، لأن التوكيل كان معلقا بشرط البراءة (٢٦) ، وأما إذا كان معلقا بشرط حروف ، إن ، إنا ، متى ، وكلما وغيرها ، فحكمه حكم ما مر .

خلاصة البحث :

١- إذا كانت الشروط توافق مقتضى العقد ، وتلائمه ، فيجب على الزوج تحقيقها بالاتفاق كاشتراط اللباس ، والطعام ، والمنزل ، وغيرها .

٢- وإن اشترط بما يسهل له الفرار من تحقيق ما يجب عليه من موجبات النكاح ، كاشتراط الزوج ، لا نفقة عليه ، فيصح العقد ويبطل الشرط .

٣- وإن اشترط ما لا يقتضيه العقد ، كأن لا يتزوج الرجل امرأة أخرى وهي عنده ، فلا يجب عليه تحقيقه عند الجمهور ، خلافا

للحنابلة ، فإن الوفاء به يلزم عندهم ، واتخذه بعض علماء الهند استحسانا ، وذهب بعضهم إلى التطبيق بين النصوص المتعارضة بأن الشرط يجب الوفاء به ديانة لا قضاء .

٤- لا يعتبر تفويض الطلاق قبل العقد ، إلا أن يعلق على ملك النكاح ، كقولها : إن زوجت نفسي منك فلي حق الطلاق ، فلها أن تطلق نفسها في مجلس العقد لا بعده ، هذا إذا لم تقيد التفويض بشرط آخر ، مثلا قالت : إن زوجت نفسي منك فلي حق الطلاق بشرط أن تزوجت امرأة أخرى ، فلها أن تطلق نفسها في المجلس الذي علمت فيه بالتزوج بأخرى ، هذا ما كان إذا أطلقت ، وإن وقتت وقتا معينا بيوم مثلا ، فلها حق الطلاق في ما بين الوقت المؤقت له ، وإن وقتت مطلقا ، كقولها : إن زوجت نفسي منك فلي حق الطلاق متى شئت ، أو إذا ما شئت ، فلها أن تطلق نفسها مرة واحدة متى تشاء إذا بلغها الخبر عن التزوج بأخرى ، وإن قالت : كلما شئت مكان " متى " أو " إذا " وغيرها من ألفاظ الشرط ، فهي تملك الطلقات الثلاث ، فمتى تشاء تطلق منها إلى الثلاث في هذا النكاح .

٥- وفي قضية المهر إن بقي الزوج على الشرط فلها المسمى ، وإن خالفه مهرا لمثل .

٦- اشتراط من جانب المرأة الموظفة أنها تبقى على العمل بعد عقد الزواج ، أو من غير الموظفة أن لا تمنع من الالتحاق بالوظيفة بعده ، فلا يلزم على الزواج الوفاء به ، بل إن طالب

منها الامتناع عن العمل بها ، فيلزمها الامتثال بأمره ، وإلا تعتبر ناشزة ، ولا نفقة لها عليه .

[هذا ما عندي ، و الله أعلم بالصواب] ،،

---

(١) راجع : الدر المختار ورد المحتار : ٣٤٤/٣ .
(٢) راجع : العيني : ٢٩٣/٢-٢٩٤ ، والهداية : ٣٨٥/٢ .
(٣) راجع : العيني : ٢٩٤/٢ وما بعدها .
(٤) راجع : المصدر السابق : ٢٩٤/٢-٢٩٥ ، وفتح القدير : ٤٤٢/٣ وما بعدها .
(٥) راجع : الهداية : ٣٨٥/٢ ، والعيني : ٢٩٥/٢ .
(٦-٧) راجع : الهادية : ٣٨٥/٢ .
(٨) راجع : الأشباه والنظائر -لابن نجيم : ص/١٧٧، ط. دار الفكر .
(٩) راجع : الخانية بهامش الهندية : ٣٢٩/٣ .
(١٠) راجع : الهداية : ٣٨٦/٢ ، والهندية : ٤١٥/١ ، والدر المختار بهامش الرد : ٣٥٢/٣ .
(١١) راجع : الخانية بهامش الهندية : ٣٢٩/٣ .
(١٢) راجع : الخانية بهامش الهندية : ٥٢١/٣ .
(١٣) راجع : البدائع : ٢٨٥/٢ ، والسراجية : ص/٣٩ ، والمبسوط : ٩٠/٥ ، والتاتارخانية : ١٠٠/٣ .
(١٤) راجع : البدائع : ٢٨٥/٢ .
(١٥) التاتارخانية : ١٠٠/٣ "-نوع منه في الشروط في المهر" انظر : تبيين الحقائق : ١٥٠/٢ .
(١٦) تبيين الحقائق : ١٤٩/٢ .
(١٧) راجع : العناية مع الفتح : ٣٣١/٣.
(١٨) الهداية مع الفتح : ٢٥١/٣ .
(١٩) راجع : تبيين الحقائق : ١٤٩/٢ ، والعناية مع الفتح : ٣٣١/٣ .
(٢٠) راجع : المبسوط : ٩٥/٥ ، والخانية بهامش الهندية : ٣٣١/٣ .
(٢١-٢٢) راجع : الفقه الإسلامي وأدلته : ٧٩٣/٧ .
(٢٣) راجع : الدر المختار بهامش الرد : ٥٧٧/٣ .
(٢٤-٢٥) رد المحتار : ٥٧٧/٣ .
(٢٦) راجع : الخانية بهامش الهندية : ٥٢١/٣ .

لغة خطبة الجمعة

الشيخ خالد سيف الله الرحماني

اختلف السلف الصالحون في لغة خطبة الجمعة ، فالمالكية والشافعية والحنابلة يوجبون اللغة العربية لهذه الخطبة (انظر : رد المحتار : ٥٤٣/١) وبه قال الإمام أبو يوسف و محمد من الأحناف ، إلا أنهما أجازا لمن لا يقدر على العربية . أن يخطب بلغة أعجمية .

أمام الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- فقد جوز الخطبة بالعجمية رغم قدرته على العربية ، بقول العلامة ابن عابدين الشامي :

لم يقيد الخطبة بكونها بالعربية ، اكتفاء بما قدمه في باب صفة الصلاة من أنها غير شرط ولو مع القدرة على العربية عنده ، خلافًا لهما حيث اشترطاها إلا عند العجز . [رد المحتار : ٥٤٣/١]

وقد ذكر العلامة محمد علي المونجيري نقلاً عن السرخسي : " لو خطب بالفارسية ، جاز عند أبي حنيفة على كل حال ، وروى بشر عن أبي يوسف أنه إذا خطب بالفارسية وهو يحسن العربية لا يجزيه ، إلا ان يكون ذكر الله في ذلك بالعربية في حرف أو أكثر " .

[الفصل الخامس والعشرون بحث النوع الثاني]

وقع الخلاف بين أبي حنيفة وصاحبيه في عدة أمور على أساس اللغة ، منها :

١. – هل تجوز تحريمة الصلاة بلغة غير عربية ؟

٢. – هل تصح قراءة القرآن في الصلاة وغيرها بلغة أجنبية ؟

٣. – هل تصح الخطبة بلغة أعجمية ؟

أما مسألة قراءة القرآن الكريم بلغة أجنبية ، فقد راجع أبو حنيفة إلى قول الصاحبين ، وأما التحريمة فقد صرح البعض أن أبا حنيفة قد راجع فيها إلى قول الصاحبين ، لكن الإمام الطحطاوي ذكر أن الصاحبين قد اختارا أخيرًا ، قول الإمام أبي حنيفة وراجعا إلى قوله ، يقول الطحطاوي نقلاً عن التاتارخانية :

" إن الشروع بالفارسية كالتلبية ، يجوز اتفاقًا ، أي لغير العاجز ، فظاهره رجوعهما إليه، لا هو إليها ، وهذا عكس القراءة ، فإنه رجع إليهما".

[الطحطاوي على المراقي : ص/١٢٦]

أما خطبة الجمعة فالخلاف قائم ، لأن الشرنبلالي ، يقول في موضع :

" الأصح أن الإمام رجع إلى موافقة صاحبيه في عدم جواز الشروع في الصلاة بالفارسية لغير العاجز عن العربية ، وعدم جواز القراءة فيها بالفارسية وغيرها من أي لسان غير عربي لغير العاجز عن العربية " .

[مراقى الفلاح : ص/١٢٦]

في مكان آخر يقول ناقلاً مذهب الإمام أبي حنيفة في خطبة الجمعة بدون ذكرالرجوع : " الرابع الخطبة ولو بالفارسية من قادر على العربية " .

[مراقى الفلاح : ص/٢٧٧]

فسكوت الإمام الطحطاوي رغم تبحر علمه واتساع نظره وقدرته الباهرة في شرح المذاهب والآثار يدل على بقاء الخلاف فيها ، بل صرح بذلك العلامة الحصكفي ، فقال : " إنما رجوع الإمام إنما ثبت بالقراءة بالفارسية فقط " .

[الدر المختار على هامش الشامي : ٣٢٥/١ ، حكم القراءة بالفارسية]

وذكر العلامة محمد علي المونجيري -رحمه الله- عبارة واضحة في ذلك نقلاً عن الفتاوى السراجية : " لوخطب بالفارسية يجوز " .

[القول المحكم * نقلاً عن الفتاوى السراجية ، باب الجمعة]

ويقول الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي -رحمه الله - :

" الأفضل أن تكون الخطبة بالعربية ، وعند أبي حنيفة تجوز بأية لغة كانت غير العربية " . [شرح سفر السعادة : ص/٢٦٧]

وهذا هو رأى الشيخ عبد الحي الفرنكي المحلي :

" الخطبة بلغة غير عربية ، سواء كانت فارسية أو غيرها ، تجوز عند أبي حنيفة بدون عذر أو عجز ، لكن الأفضل بالعربية ، وعن الصاحبين لا تجوز إلا بالعربية " .[مجموعة الفتاوى على هامش خلاصة الفتاوى : ١٤١/١]

فمن يوجب الخطبة بالعربية يحسبون أنها ذكرى ، ويجب للذكر أن يكون بنفس اللغة المأثورة عن رسول ا لله ﷺ . وهي العربية ، لأجل ذلك لم نجد في التاريخ ما يدل على أن السلف الصالحين وجهوا الخطبة بلغة محلية في المناطق العجمية والفارسية بدلاً عنها .

ومن يجوّز الخطبة بلغة المخاطبين ، يرون أن هدف الخطبة ومقصودها الأساس هو التذكير والموعظة ، كما يتجلى بلفظتها ويبدو بتصريحات الفقهاء ومدلولات الخطب المأثورة عن رسول ا لله ﷺ التي ألقيت حسب متطلبات

الظروف والأحوال ، وإن هذا الهدف والمقصود لا يتم ولا يتحقق إلا بلغة المخاطبين ، ويتخيلون أنه لا يمكن القول بالإذعان واليقين ، إنها لم توجه في أي عصر من العصور وفي أي قطر من الأقطار بلغة غير عربية ، ومن القواعد المعروفة " أن عدم الذكر لا يستلزم بعدم ثبوته " أو " عدم العلم لا يستلزم بعدم وجوده " .

وأيضًا كانت العربية في تلك العصور لغة الأمة الغالبة والمنتصرة ، ومن العادة : أن الأمة المهزومة تسعى وتحاول نفسيًا لتعلم لغة الأمة المنتصرة ، وللغة الإنجليزية نموذج حي لذلك في هذا العصر .

لكن اليوم قد تغير الوضع وتبدل كثيرًا ، والأحكام تتغير بتبدل الأحوال والظروف .

وفي رأيي أنا : القول بتوجيه الخطبة في اللغة العربية أقرب إلى الصواب ، وأوفق لمذاهب عامة السلف الصالحين ، أما هدف العظة والتذكير فيمكن الحصول عليه بالتحدث في اللغة المحلية قُبيلها .

علمًا بأنه لا يمكن إطلاق اسم البدعة والكراهة على خطبة ألقيت بلغة أردية أو محلية غير عربية ، ولا يناسب التشديد في ذلك .

وقد ناقش العلماء العرب باهتمام بالغ على أداء الخطبة بلغة غير عربية ، وتم اتخاذ قرارات في الدورة الخامسة للمجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي المنعقدة في ٨-١٤٠٢/٤/١٦هـ وفيما يلي نص القرار :

إن الرأى الأعدل الذي يختاره ، هو أن اللغة العربية في أداء خطبة الجمعة والعيدين في غير البلاد الناطقة بالعربية ليست شرطًا لصحتها ، ولكن الأحسن أداء مقدمات الخطبة وما تتضمنه من آيات قرآنية باللغة العربية ، لتعويد غير

العرب على سماع العربية والقرآن مما يسهل عليهم تعلمها وقراءة القرآن باللغة التي نزل بها ، ثم يتابع الخطيب ما يعظهم وينورهم به بلغتهم التي يفهمونها " .

[قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي للرابطة ١٣٩٨-١٤٠٥هـ]

تدفين الموتى في التوابيت :

المسيحيون وبعض الأقوام الأخرى يدفنون موتاهم في التوابيت الخشبية والدول المسيحية التي بها المسلمون من الأقليات الضئيلة والكثيرة يسمع عنهم أنهم أيضًا يدفنون في تلك التوابيت ، ولا شك أن هذه الطريقة تعارض السنة النبوية ، لأن الرسول ﷺ قد دفن موتاهم في التراب بالتكفين ، وتوارثت عليه الأمة الإسلامية منذ عهد الرسالة ، كما أنه تشبه بالأقوام الأخرى الغير الإسلامية ، وقد نهى النبي ﷺ بشدة عن التشبه بالأغيار ، فقال : " من تشبه بقوم فهو منهم " .

لذا يكره للمسلمين تدفين موتاهم هكذا ، كما هو يغاير لطبيعة الشريعة الإسلامية العامة ، نعم : إن كانت الأرض وحلة ، أو رطبة يخرج الماء بأدنى حفر ، أو كانت هناك أعذار أخرى ، فيجوز استخدام هذه التوابيت إذا فرش فيها التراب ، يقول القاضي خان :

" وحكي عن الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الفضل -رحمه الله- أنه جوز اتخاذ التابوت في بلادنا لرخاوة الأرض ، قال : ولو اتخذ تابوت من حديد لا بأس به ، لكن ينبغي أن يفرش فيه التراب ويطين الطبقة العليا مما يلي الميت ، ويجعل اللبن الخفيف على يمين الميت ويساره ليصير بمنزلة اللحد " .

[قاضيخان على الهندية : ١٩٤/١]

قضية التعريب في العصر الحديث

بقلم : الدكتور إ.ك. أحمد كوني

أستاذ في قسم اللغة العربية بجامعة بجامعة كاليكوت - كيرالا

ما هو التعريب ؟ :

قد حدده علماء اللغة بتعريفات متعددة، منها : أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية على نهجها وأسلوبها ، وأن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية مطلقاً ، و نقل الكلمة من العجمية إلى العربية ، و المعرب هو اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب .. إلخ.

وفي العصر الحديث نستعمل كلمة التعريب بمعنيين : الأول : هو أخذ اللفظ أو المصطلح الأجنبي وإخضاعه للأوزان العربية ، فالأصل أجنبي ولكنه يعد ما أمكن على قياس عربي مثلاً : الديمقراطية ، لـ (Democracy) وتليفون : لـ (Telephone) والفلسفة : لـ (Philosophy) والأوكسجين : لـ (Oxygen) ..إلخ ، والثاني : هو المعنى الواسع ، وهو ترجمة النصوص الأجنبية ونقلها إلى اللغة العربية ، وكذلك تعليم العلوم الأجنبية الحديثة بالعربية ، وفي هذه المقالة إنما أريد "التعريب" في المعنى الأول المحدد ، وأما مشاكل "التعريب" في معناه الثاني الواسع فتتكون جزءًا من البحث عن موضوع الترجمة العام .

ظاهرة قديمة : إن "التعريب" ليس ظاهرة جديدة طرأت على اللغة العربية في العصر الحديث ، بل كان موجودًا فيها منذ أقدم العصور ، فنجد في الشعر الجاهلي عددًا من الكلمات التي نقلها العرب من اللغات الأجنبية وعربوها ، وكذلك في القرآن الكريم أيضًا كلمات معربة والتي دخلت فيه من اللغات الفارسية ، واليونانية ، والحبشية ، والقبطية ، والسنسكريتية ، وغيرها ، ثم في العهد الأموي بدأت حركة نقل العلوم الأجنبية وترجمة الكتب الأعجمية إلى العربية ، ونشطت هذه الحركة في العصر العباسي فاهتم المترجمون العرب أشد الاهتمام بترجمة كتب العلوم اليونانية والفارسية والهندية والمصرية وغيرها إلى اللغة العربية، إنهم في أثناء هذه العملية ترجموا إلى العربية كثيرًا من المصطلحات العلمية الأعجمية بمفردات عربية أصلية ، ولكن لما لم يجدوا لكثير من المصطلحات الأجنبية مفردات مقابلة لها في العربية اقتبسوا تلك الكلمات نفسها وعربوها بتغييرها بحيث توافق مع الأوزان والأشكال العربية ، هكذا تكاثرت وتوافرت في اللغة العربية كلمات ومصطلحات معربة فصارت جزءًا لا يتجزأ من معجمها .

في العصر الحديث : إذا كان ذلك هو الأمر في العصور القديمة فالحاجة إلى تعريب الكلمات والمصطلحات الأعجمية أمس وأشد في عصرنا الحديث ، إن تطور المدنية وتقدم العلوم والتكنولوجيا قد أوجد ولا يزال يوجد مئات ، بل آلافًا من المصطلحات الجديدة في مختلف العلوم والمعارف ، ومن ثم ، كان لزامًا على العلماء العرب أن يعملوا جاهدين على صياغة كلمات عربية مقابل هذه المصطلحات المستحدثة فنشطوا

لأداء هذا الواجب ، وبدأوا بالترجمة والتعريب والاشتقاق والنحت ، ولكن محاولاتهم هذه لم تثمر نتائج مطلوبة ومرضية لأنهم لم يكونوا في عملهم هذا وثيقي الصلة فيما بينهم ، فكان كل واحد منهم يصطلح كما يرى ، ويعبر كما يبدو له ، مما أدى إلى بلبلة المصطلح ، واضطراب استعماله في الحديث والكتابة ، وكان لابد لمجامع اللغة العربية من أن تأخذ الأمر على عاتقها ، فعقدت اللجان ، ونظمت المؤتمرات ، وكان مجمع اللغة العربية في القاهرة أشد المجامع نشاطًا في هذا المجال ، حتى إنه وقف ٧٠٪ من نشاطه على جمع المصطلحات ومناقشتها وإقرارها .

اتجاهات ثلاثة : انقسم العلماء فيما بينهم بالنسبة لمسألة تعريب المصطلحات المستحدثة فوجدت بينهم ثلاثة اتجاهات : الأول : اتجاه يرفض "التعريب" ويرى أن اللغة العربية بشكلها القديم أجود ، وأدل على المعاني مما هي عليه اليوم وأنها قادرة على التعبير عن أي معنى من المعاني المستحدثة حتى لا تكون حاجة إلى "التعريب" وأصحاب هذا الاتجاه يؤثرون التوسع في استعمال الألفاظ العربية لتأدية المعنى الأجنبي ، إما بالاشتقاق من المواد اللغوية العربية مثل : " سيارة " للأوتوموبيل (Automobile) وإما بترجمة اللفظ بمرادفه مثل : الصور المتحركة ، للسينماتوغراف (Cinematograph) وبعض المصطلحات التي وضعها هؤلآء تبدو غريبة غاية الغرابة ، مثلاً : العرعود للوزير والأرزيز للتليفون ، والشاطروالمشطور بينهما كامخ للساندويش (Sandwich) .

نرى أن هذا الاتجاه ، مع حبه الشديد للغة العربية واعتزازه بها ليس سليمًا ولا مقبولاً لأنه يسيئ اختيار الوسيلة ويؤدى إلى تشويه الألفاظ العربية والجناية عليها ، هل هناك أي لغة ، مهما علا شأنها ، تستطيع أن تعبر عن كل معنىً دون الاستعانة بغيرها من اللغات ؟ إن "الاقتباس" سنة الطبيعة بين الأمم واللغات ، والعربية ليس استثناء لها ، ولم تكن يومًا من الأيام خالية من كل دخيل .

الثاني : اتجاه يخالف الاتجاه الأول ويقول بالتوسع في التعريب والاشتقاق من المعرب ، كما كان العرب يفعلون في نحو " درهم مُدرهم " و دينار مدنر .. إلخ ، وأهل هذا الاتجاه لا يرون فرقًا بين أن نقول تلفون وأن نقول هاتف لكونه مصطلحًا واحدًا في ذاته ، وعندهم لا فرق بينهما ما دامت كلمة تلفون تنطبق على الوزن العربي وتمكننا من أن نشتق منها فعل تلفن ، وما دامت الحروف المؤلفة منها (أي التاء واللام والفاء والواو والنون) هي حروف عربية ، كذلك ، لا مانع عندهم من أن نقول : دكتر من Doctor و أكس من Axe ، وكرتز من Descartes ، و رودج من Rodage ، وشوفر من Chauffeur ..إلخ ، هكذا لا مانع عندهم من أن تعرب معظم المصطلحات العلمية ، إذ لا فرق هنا بين الترجمة والتعريب .

في نقد هذا الاتجاه نقول : إن فيه تطرفًا لأنه يتساهل غاية التساهل بقبول اللفظ الدخيل ويجعل كل كلمة أجنبية عربية ، إن كان يشبه نطقها النطق العربي ، فأي كلمة أجنبية لا تبقى عربية بعد ذلك؟

الثالث : اتجاه يقف موقفًا وسطًا من الاتجاهين السابقين وهو يبحث في المعجم العربي عن الكلمات المقابلة للمصطلحات الحديثة في المعنى بأي طريق من الطرق الجائزة لغة ، فإذا لم يتيسر له ذلك استعار اللفظ الأجنبي بعد صقله و وضعه على منهاج اللغة العربية .

وفي نقد هذا الاتجاه نرى أنه هو الأسلم لأنه يتجنب التطرف الذي يوجد في كل من الاتجاهين الآخرين ، إذا قلنا لرجل ريفي أمّي كلمة "مذياع" أو "هاتف" أو "سيارة" يمكنه أن يفهم ، ولو مبهما ، معاني هذه الكلمات ، أو يمكننا أن نفهمه إياها ، في حين أنه يستحيل عليه أن يستدل من ألفاظ كـ "الراديو" أو "التلفون" أو "الأوتوموبيل" على المسميات المقصودة ، ومعنى هذا أنه إذا وجد في اللغة العربية كلمات تدل على معنى المصطلحات الأجنبية فيحسن بنا أن نأخذها ونستعملها ، وأما بالنسبة لتلك المصطلحات التي ليست لها مقابل في العربية فلا مانع من اقتباس اللفظ الأجنبي بتغييره ليلائم منهاج اللغة العربية وطبيعتها ، هذا هو الموقف الصحيح من التعريب .

التعريب لابد منه : علينا أن نذكر أن إرغام الألفاظ العلمية القديمة على أن ترتدي برداء الألفاظ العلمية الحديثة أمر لا يؤدى إلى الغاية المطلوبة ، ومهما حاولنا لا نستطيع أن نجد في اللغة العربية مقابلاً لجميع المصطلحات المستحدثة ، فإذن لابد من الاقتباس ، وبخاصة في أسماء الأعيان ، وأعلام الجنس كالأوكسجين والهيدروجين والأنزيم ، والإلكترون ، وما يدل على تصنيف عام من أجناس وأنواع في النبات والحيوان ، أو سلسلة مواد متشابهة في الكيمياء ، ومما يلاحظ هنا أن

الاقتباس من اللغات الأجنبية ، أي التعريب هو أسهل منالاً وأدق دلالة من الترجمة أو الاشتقاق أو النحت وما إليها ، بالنسبة إلى كثير من المصطلحات العلمية .

إن حركة العلم في تطور مستمر وسريع حتى إن عدد المصطلحات العالمية المتخصصة يبلغ الآن أكثر من مليون ونصف مليون مفردة ، حصة الطب فيها ما يقارب خمسين ألف مفردة ، وقد قدر أن هذه الحركة لا تزال تولد من المصطلحات ما يتراوح بين خمسين ومائة مصطلح جديد يوميًا ،فالاقتباس (أي التعريب) ، إذاً ، لا مفر منه ، مهما اعتمدنا الطرق الأخرى في وضع المصطلح العربي العلمي ، ولكن لابد من مراعاة قواعد فيه ، منها الاحتفاظ بالأصل ما أمكن ، والأخذ بأقرب نطق إلى العربية دون تحيز إلى أصل فرنسي أو إنجليزي ، وتوحيد هذا النطق قدر الإمكان مع صياغته على أحد الأوزان العربية كلما تيسر لنا ذلك ، ثم اتباع المصطلح المعرب بكتابته بأحرف لاتينية.

بعض الناس يخافون على اللغة العربية من اقتباس مصطلحات علمية من اللغات الأخرى ، وهذا الخوف لا داعي له ، لأن هذه اللغة التي قد ضمن خلودها بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة وآثار السلف قد استطاعت أن تحافظ على كيانها وبقائها على مر الدهور ، ولا تزال، فسلامتها آمن وأمتن من أن يهددها عدد من المصطلحات العلمية الدخيلة فيها .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، يعتقد بعض أهل الفكر أن اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن العلوم الحديثة وأنها ليست

صالحة لأن تكون لغة أي علم حديث ، هذا من أكبر العوائق التي نواجهها في مجال تعريب العلوم ومصطلحاتها ، والحق أن هذه الفكرة الخاطئة ، هي التي رسخها المستعمر في أذهان بعضنا ، وكيف تكون هذه الدعوى صحيحة بالنسبة إلى اللغة العربية وهي التي كانت لفترة طويلة من الزمن لغة الحضارة في العالم ، والتي تمكنت من أن تكون لغة القرآن والحديث وما فيهما من معان سامية رفيعة ، وتعبيرات دينية واجتماعية وتشريعية لا عهد للعرب بها في جاهليتهم ! وكيف تكون اللغة العربية عاجزة عن أن تكون لغة العلم ، وهي كما يقول أحمد أمين : لغة استطاعت أن تكون أداة لكل ما نقل من علوم الفرس والهند واليونان وغيرهم ، وفي نحو ثمانين سنة من بدء العهد العباسي ، كانت خلاصة كل هذه الثقافات مدونة بالعربية ، والعرب الذين لم يكونوا يعلمون شيئًا من مصطلحات الحساب والهندسة والطب ولا شيئًا من منطق أرسطو وفلسفته أصبحوا في قليل من الزمن يعبرون عن أدق نظريات أقليدس ونظريات بطليموس وطب جالينوس وحكم بزرجمهر.

[ضحى الإسلام : ج/١ ، ص/٣٩١]

جهود المراكز والمجامع والهيئات :

قد انتبهت الدول العربية في العصر الحديث إلى أهمية تعريب المصطلحات وجمعها وتنسيقها وتوحيدها فأسست المراكز التي تهتم بهذه المهمة ، ويأتي في طليعة هذه المراكز : " اتحاد مجامع اللغة العربية " الذي يتألف من مجمع دمشق ومجمع القاهرة ومجمع بغداد ومجمع عمان ومجمع الجزائر ومجمع المملكة العربية السعودية

وغيرها ، كما يأتي في الطليعة " مكتب تنسيق التعريب " بالرباط ، ولهذا المكتب مكانة مرموقة في هذا الشأن إذ أصدر معجمات كثيرة في شتى العلوم والفنون ومرافق الحياة وهو لا يزال ماضيًا في هذا المضمار ، وهنالك معهد بورقيبة للغات الحية في تونس ، ومركز الأخضر غزال في المغرب ، ومركز عبد الرحمن الحاج صالح في الجزائر ، ثم هناك "المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر " الذي أنشأته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وهو يبذل جهودًا محمودةً في مجال التعريب .

وهنالك الجامعات العربية ، ولبعضها فضل لا ينكر في تعريب العلوم الحديثة وتدريسها باللغة العربية ، ومما لا يقبل الجدل أن تعريب التعليم العالي يشكل خطة مهمة في تحقيق أصالة الثقافة العربية وتوطيدها وإنماء روح العلوم والفكر العلمي والبحث الأصيل في الوطن العربي ، ولكن المساعى التي تبذلها الجامعات في البلاد العربية ليست خالية من قصور وهنوات ، ومن هذه الهنوات انحدار التعليم فيها إلى اللحن والركاكة والعامية والبعد عن البيان العربي الصافي الواضح . وقلة الأساتذة الأكفياء الذين يملكون نواحي علومهم كما يملكون ناصية البيان العربي ، وكذلك تشتت المصطلحات بين هذه الجامعات ، بل في الجامعة الواحدة ، وحتى في القسم الواحد من الدراسات ، فعلى الجامعات العربية أن تنظر في هذه المشاكل وتتخذ الخطط لحلها في المستقبل القريب .

وهنالك أيضًا وحدات الترجمة العربية في فروع منظمة الأمم المتحدة وهي تقوم بوضع دلائل للمترجمين ، وغيرها من الأعمال النافعة في هذا المجال .

لقد عقدت ندوات إقليمية متعددة في البلاد العربية لتذليل مصاعب النقل المصطلحي والتغلب على عقبات التعريب والترجمة ، وانتهت إلى توصيات جيدة ، ولكنها لسوء الحظ لم تتم متابعتها وتنفيذها عمليًا إلا قليلاً .

دور المعاجم : إن أهمية المعاجم في وضع المصطلحات ونقلها ، وفي تنسيقها وتوحيدها أمر لا ينكر ، قد وضعت في البلاد العربية كثير من المعاجم المتخصصة للمصطلحات العلمية وما يقابلها من ألفاظ عربية ، نذكر منها على سبيل المثال :

- معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية -لأحمد شفيق الخطيب ، مكتبة لبنان -بيروت سنة ١٩٧١م والطبعة الأخيرة في ١٩٨٤م .
- معجم المصطحات الأثرية ، مجمع اللغة العربية دمشق سنة ١٩٦٧م.
- معجم المصطلحات الطبية - تأليف كليرفيل ، إ.ل ترجمة أحمد حمدي الخياط ومحمود صلاح الدين الكواكبي ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق سنة ١٩٥٦م .
- معجم المصطلحات الزراعية ، تأليف محمود مصطفى الدمياطى ومحمد عبد الجواد ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة سنة ١٩٦٠م .

- معجم المصطلحات العلمية والتقنية في الطاقة الذرية ، الذي عربته هيئة الطاقة الذرية في سورية عام ١٩٨٦م .

وفي الختام نرجو أنه بفضل هذه المعاجم والموسوعات اللغوية ، والجهود المبذولة من قبل الدول العربية والمراكز والمجامع والهيئات والجامعات ، والعلماء والخبراء فيها ، ستكون لحركة التعريب مستقبل باهر ، وأنه بذلك تستطيع اللغة العربية في العصر الحديث أن تستردّ لنفسها مكانتها العالية المرموقة التي كانت تحظى بها في العصور الوسطى كلغة علوم ومعارف .

<u>المراجع :</u>

(١) فقه اللغة العربية وخصائصها ، تأليف الدكتور إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين -بيروت لبنان عام ١٩٨٢م .

(٢) دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ، دار العلم للملايين - بيروت عام ١٩٨١م .

(٣) ضحى الإسلام - لأحمد أمين - الجزء الأول .

(٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها - لجلال الدين السيوطي .

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية - لجرجي زيدان ، الجزء الأول .

(٦) مقالة مشكلات الترجمة والتعريب التي تواجهها الثقافة العربية، للدكتور عبد الكريم اليافي ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الثاني، المجلد الثالث والستون .

(٧) مقالة مفهوم التعريب - للأستاذ عبد الهادي هاشم في نفس العدد من نفس المجلة .

أحلام الأبالسة !!

بقلم: الدكتور غريب جمعة

هذا عنوان قد يثير الدهشة لديك أخي القارئ ، ولكن تلك الدهشة لا تلبث أن تزول إذا علمت أن هؤلآء الأبالسة هم : اليهود الذين تفوق أحلامهم الخيال بالنسبة لمدينة القدس ولبناء هيكلهم المتهدم -إن شاء الله تعالى - .

فهاهو ذا اسحاق نافون أحد رؤسائهم السابقين في فلسطين المحتلة يدعو إلى تغيير صورة الأسرة اليهودية بزيادة النسل اليهودي لأنه وبقية القتلة الكذبة من الأبالسة أمثاله ينتظرون هذه الأسر الجديدة التي يحلمون بتواجدها في إسرائيل .

ولتعلم -أخي القارئ- أن أحلام هؤلآء الأبالسة لا تقف عند مجرد استنفار المزيد من القطعان اليهودية إلى فلسطين المحتلة ..

لا وألف لا ، إن الأمر أدهى وأمر من ذلك بكثير !!

ولا يتأتى لقلم مهما كانت قوته وإخلاصه وبلاغته أن يكشف عن هذه الأحلام الشيطانية في مقال واحد .. ولعل الله -من واسع فضله-

يوفقنا والأخوة الكرام الكاتبين الذين يقفون على ثغور الإسلام صابرين محتسبين حسبهم أن الله يسمع و يرى .. لعل الله يوفق الجميع إلى المزيد ..

ألم يأتك نبأ الرسالة الماسونية الشهيرة المرسلة من محفل "الماسونيون القدامى الأحرار المرضيون" إلى ما يسمى بـ " أمناء مسجد عمر" بتاريخ ١٩٦٨/٥/٢٠م أي بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م .

يقول كاتب الرسالة : إلى أمناء مسجد عمر : مدينة القدس – إسرائيل .

أيها السادة ! ولدت جدتي في مدينة عمان في الأردن ، وأنا مواطن أمريكي أنحدر من أجداد آيرلنديين وأردنيين وإني لفخور بأن أكون عربيًا ، كما أني مسيحي في الدين ، سأصل إلى تل أبيب في ٧/من حزيران المقبل وحينذاك أي في نحو ٩/من حزيران سأكون في مدينة القدس وكل ثقة بأن أتشرف بمقابلتكم يا سادة الهيكل المقدس بمسجد عمر ، لقد كتبت منذ زمن رسالة بعنوان مسجد عمر ، ويبدو أنها لم تصل إلى الأشخاص المعنيين ، من أجل ذلك أحاول الآن إيجاز خبر زيارتي .

إني ورفيقي (أوري مرفي) عضوان في المحفل الماسوني الذي شعاره: " الماسونيون القدامى الأحرار المرضيون " وتعلمون أنتم أن هيكل سليمان كان المحفل الماسوني الأصلي ، وأن الملك سليمان كان رئيس المحفل !! وأعلم أن مسجدكم هو المالك الحقيقي الشرعي لذلك الهيكل ، وأن مسجدكم هذا واقع على ذلك الملك هو والصخرة التي قرّب عليها أبونا ابراهيم ابنه اسحاقًا قربانًا لله ، (هذا من وجهة نظر

كاتب الرسالة وقد تعرضنا إلى مزية نسبتهم إلى أبي الأنبياء ابراهيم – عليه السلام– في مقال سابق بعنوان : " لقطاء لا أبناء " كما أن اسماعيل –عليه السلام– هو الذبيح من وجهة النظر الإسلامية وليس هنا مجال التفصيل) .

وأعلم أنكم أنتم معشر العرب أبناء اسماعيل قد قمتم بحماية تلك الصخرة عبر القرون و لله الحمد على ذلك .

وإني كمسيحي وعضو في المنظمة الماسونية أرأس جماعة في أمريكا تطمح (تأمل كلمة تطمح) إلى رؤية هيكل سليمان وقد أُعيد بناؤه ! ونقترح ما يلي :

إذا سمح أمناء مسجد عمر لمنظمتي بالقيام بذلك المشروع فإننا من أجل ذلك نجمع مائة مليون دولارًا أو أي مبلغ من المال لإعادة بناء الهيكل ، ولن يفقد مسجدكم حق الإشراف على الهيكل وعندما يكتمل بناء الهيكل ينذر لله ، وللملك سليمان وللنظام الماسوني العالمي ، ويوهب لكم مجانًا (ما هذا الكرم الماسوني) .

وعلاوة على ذلك وبسماح من هيئتكم يمنح كل أخ ماسوني يساهم في إعادة بناء هيكل سليمان العضوية في محفل الملك سليمان الماسوني رقم أول في مدينة القدس ، وكل ماسوني العالم يحبون أن يكونوا أعضاء في محفل الملك سليمان الماسوني ، ومن المحتمل أن يزور أحدهم الهيكل طول حياته ، إلا أن عضويتهم تنتقل إلى أعقابهم الماسونيين وتجدد تلك العضوية كل سنة .

وهذا يعني أن الهيكل سيرد عليه كل سنة آلاف الدولارات مما يكفي لرعاية الهيكل وتغذية مشاريع مسجد عمر الخيرية ، ويعني أيضًا أن مسجدكم لن يكون أبدًا بحاجة إلى المال من الأعضاء ، إذ لا عهد لي حتى الآن بمؤسسة دينية تستطيع أن تعيش وتستمر بدون طلب المال من أعضائها ، وإني أؤكد لكم أنكم إذا تعاونتم معنا في إعادة بناء الهيكل فإن هيئتكم ستكون أغنى مؤسسة دينية على وجه الأرض .

فإذا كان الأمر يهمكم وهو يوفر لكم الكسب وليس فيه خسارة البتة فإنا سنوافيكم بالمال لإنفاقه على بناء الهيكل ، وتختارون أنتم من شئتم من المهدين على أن يفهم من ذلك أن جزءًا محددًا من الهيكل يكون مقصورًا على خدمة الأغراض الماسونية ، ويستخدم الباقي ما يراه مسجدكم ملائمًا ، لأن الهيكل لكم ، هو ملككم ونكون نحن قد أعدنا بناءه لكم مجانًا ، وإني أقترح في أي حال أن يستخدم جزء من الهيكل مستشفى لأولاد القدس العرب واليهود على السواء يعالج فيه الفقراء مجانًا ، وبعد أن يتم بناء الهيكل سيرد عليه المال بطريق تجديد الإخوة الماسونيين عضويتهم كل سنة فوق ما يمكن أن تحتاجوا إليه ، ويجب أن تفهموا أننى على كونى سأكون ضيفا على شعب إسرائيل لن يكون لي دخل كأمريكي في سياستكم المحلية .

وسأقوم أنا في الأرض المقدسة بالتقاط شريط سينمائي (ثقافي) ومع هذا الفيلم الذي سيكون بالإمكان عرضه في المحافل الماسونية شريط ديني لأبينا ابراهيم ولإسماعيل ويعقوب مندرجًا حتى بناء الهيكل ولقصة مولد المسيح حتى موته على الصليب (هذا من وجهة نظر صاحب

الرسالة ولكن وجهة النظر الإسلامية تتمثل في قوله تبارك وتعالى : ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم﴾ .

وإني لواثق أيها السادة ! أنكم ستتدارسون هذه المسألة مع مجالسكم قبل أن أصل إلى مدينتكم المقدسة وآمل أن يتفضل أعضاء مجلس عمر ويشرفوني بأن أتحدث إليكم شخصيًا في خلال زيارتي القصيرة لمدينتكم وأسأل الله يا اخوتي أن يباركم جميعًا .

[في ٢٠/مايو (أيار) ١٩٦٨م]

المخلص : جريدى تردى -شارع الست هارفار ، بوربانك- كاليفورنيا -أمريكا .

هذا ما قاله صاحب الرسالة فضّ الله فاه ، وما بنا -علم الله- من حب للجهر بالسوء من القول ، وإنما إذا رغب إنسان في غرس مزيد من الشر والرجس في الأرض التي باركها الله ، أترانا ، نقول له : حياك الله وبياك أم نقول له : فضّ الله فاك ولا حياك ولا بياك ، كما أن وصفنا لهم : بالقتلة والكذبة والأبالسة ليس من عندنا ولكن إليك ما قاله مؤلف كتاب : " حكومة العالم الخفية " في صفحة/٦٤ :

(وعلى كل مسيحي أن يقرأ البروتوكولات لأن المسيح شخص اليهود في ثلاث كلمات : " اليهود شيطانيون وقتلة وكذابون " وتؤكد البروتوكولات هذه الكلمات تأكيدًا مطلقًا) فهل يعي المسيحيون ذلك ؟

(يتبع)

صور و أوضاع

أمريكا والإسلام

بقلم : الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي

قضية السود في أمريكا ، تتفاقم وتتصاعد حوادث العنف بين السود والبيض ، وقد انتقد أحد الزعماء في أمريكا سياسة الحكام المعاصرين الذين تهمهم أحوال العالم الخارجي أكثر من أحوال بلادهم ، فإن البلاد على حافة الافلاس ، وقد التمست حكومة كلنتن لمعالجة تدهور حالة بلاده الاقتصادية الحلول الموقتة ومنها البحث عن مواقع التدخل العسكري في البلدان الأخرى ، وظلب هذه البلدان بتأدية مصارف هؤلآء الجنود، وأجرة الأسلحة أو قيمة الأسلحة وإحداث مواقع الصراع في بعض الدول لبيع الأسلحة الأمريكية ، وتوجيه بعض الدول إلى حياة الترف ، والبذخ لاستنزاف ثرواتها ، بتصدير منتجاتها الكمالية.

وقد صرف الحكام انتباههم عن الحالة الاجتماعية والخلقية في البلاد ، فإن نسبة الجرائم ترتفع بصورة تنذر بخطر جسيم ، وذلك أمر واقع يشاهده كل من يزور أمريكا ، حيث أصبح الخروج بعد المغرب خطرًا ، أو المرور ببعض الأزقة أو المناطق العامة ، ولا شك أن السود الذين يشكلون أغلبية العاطلين عن العمل ويعانون الفقر والجهالة والحرمان ، هم أكثر من يقع في هذه الجرائم ، إلا أن نزعة الجريمة بدأت تنمو وتتفاقم في البيض أيضًا وقد أصبح الاعتداء على الأطفال

والنساء حتى في بيوتهم عملاً عاديًا ، وقد سجلت بعض مدن أمريكا رقمًا قياسيًا في ارتكاب الجرائم .

أما التمييز على أساس العنصر ، أو الجنس ، أو اللون فهو يفوق في أمريكا غيرها من الدول في العالم ، وقد نشرت مجلة (إكنومست) تقريرًا عن اعتداء البيض في المسيحيين على السود من المسيحيين وإحراق كنائسهم وازدادت نسبة هذه الاعتداءات أن أجبر الرئيس كلنتون على زيارة المناطق المنكوبة بهذه الاعتداءات ، وأعلن أنه سيتخذ إجراءات صارمة لمنع حدوث هذه الحوادث مرة أخرى ، ولكن الأمور سارت على نهجها .

وفي عدد ٢٤/أغسطس ١٩٩٦م لمجلة (إكنومست) تقرير عن انتشار الإسلام في السود نتيجة لهذا التمييز العنصري ، وازدياد كراهيتهم للبيض ، فكتبت تقول :

إن المسلمين السود أصبحوا ظاهرة عامة في الحياة في مدن أمريكا الداخلية ، وقد ارتبط كثير منهم بلويس فرخان وحركته التي أعيد تشكيلها أخيرًا ، وهي شعب الإسلام .

إن فرخان يمثل أقل من ٤٪ من المسلمين السود ، ويوجد في أمريكا ما بين ستة ملايين وثمانية ملايين مسلم اليوم ، ويخشى أنهم خلال عشرين سنة سيزيد عددهم عن اليهود الأمريكيين ، ويصبحوا أكبر أقلية في أمريكا ، إن انتقال السود إلى الإسلام يزداد بصورة ملحوظة فإن ٩٠٪ من المسلمين الأمريكيين هم من السود ، وتقدر بعض الدوائر

أن عدد المسلمين السود يزيد عن مليونين ، وإن هذه الزيادة في العدد تشاهد في سائر أنحاء البلاد .

وتقول المجلة : وهي تبحث عن أصل المسلمين السود في أمريكا ، أن تاريخ المسلمين الأمريكيين يرجع إلى عهد استيراد الرقيق ، فقد كان معظم الرقيق القادمين إلى أمريكا ، في سفن الرقيق ، من أفريقيا الغربية ، وكانوا مسلمين ، ولذلك يدعى السود في أمريكا ، أن الإسلام هو دينهم الأصلي .

وقد تجاهلت المجلة عوامل أخرى لانتشار الإسلام في أمريكا ، فإن عددًا كبيرًا من الذين يدرسون الإسلام أو يعيشون في مجتمع إسلامي ويجربون الحياة الإسلامية وإن كانت محدودة ، ومتناقضة يعتنقون الإسلام ، وتنشر الجرائد والمجلات انطباعاتهم التي يقارنون فيها بين الحياة قبل الإسلام والحياة بعد الإسلام .

وقد أدت الدعوة إلى الإسلام في أوساط المجرمين ، حتى في السجون إلى اعتناق عدد كبير من مرتكبى الجرائم الإسلام وتوبتهم توبة نصوحًا، ومن هؤلآء التائبين عدد من ابطال الملاكمة ، فقد تحسنت حياتهم وصلحت ، وصلح بهم مجتمعهم الذي كانوا فيه ، ففي الوقت الذي يعانى المجتمع الأمريكي ، التفكك ، والتناحر ، ينشأ مجتمع جديد وهو مجتمع التعاضد ، والتواصى ، والمواساة .

وقد أسلم عدد يبلغ الألوف من رجال القوات المسلحة في أمريكا ولازدياد هذا العدد قامت حكومة أمريكا بتعيين الأئمة والدعاة في القوات المسلحة أسلم كثير منهم خلال تأدية واجباتهم في الدول

الإسلامية ، حيث شاهدوا البون الشاسع بين مجتمع بلادهم ومجتمع المسلمين .

تحارب أمريكا ، وحلفاؤها بريطانيا وفرنسا الأصولية الإسلامية وانضمت إليها روسيا أخيرًا وتعتبرها خطرًا على الحضارة الأوربية ، ولكنها تجهل أنها تقف على فؤهة البركان ، فقد تفكك المجتمع فيها، وتفرقت الحياة العائلية ، وعمت الجرائم ، حتى الأحداث يرتكبون الجرائم ولم يعد الإنسان يشعر بالأمن في عقر داره ولا تستثنى من ذلك الكنائس ، بل أصبحت أوكار الفساد ، وتظهر اعترافات الأساقفة والقسيسين في الصحف ، والذين كانت وظيفتهم الكفارة والتبرئة يرتكبون أنفسهم الجرائم ، فلا ملجأ لهذه الدول إذا أرادت البقاء إلا إلى الإسلام وأصول الإسلام ، وهي أحوج إليه من غيرها ليطهرها ، وينقذها من الوقوع في هوة ساحقة لا نجاة منها .

إنه لفرصة سانحة للدعاة المسلمين ، فإن أمريكا تستغل الشقاء في العالم الخارجي ، وتفرض سيطرتها عليه ، وتصدر قوتها إلى الخارج، وينتشر الشقاء والحرمان في البلاد ، فإذا استمرت الجهود الإيجابية للدعوة ، فإن هذا البؤس والشقاء الداخلي سيساعد على بسط نفوذ الإسلام ، وتتاح له فرصة التوغل إلى داخل المجتمع الأمريكي ، ولكن يجب على الدعاة أن ينتهجوا لذلك المنهج الدعوي الديني ويطبقوا تعاليم الإسلام في حياتهم ، ويقدموا للأمريكان نموذجا للحياة الإسلامية الهادئة التي تنزل عليها السكينة والبركة .

***

في رياض الشعر

يا أهل مكة

الأستاذ محمد ضياء الدين الصابوني (شاعر طيبة)

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

أتيت بيتك يا رباه في ظمإ
وحرقة الشوق في الأضلاع تكويني
و طفت بالبيت و الأشواق عاصفة
والحب يدفعني و الوجد يدنيني
فموجة من حشود القوم تقذفني
و موجة من كرام القوم تقصيني
حتى إذا بلغت نفسي ملامسه
من بعد لأي و جهد كاد يضنيني
قبلته وفؤادي كله لهف
و خلت روحي تسمو في عليّين
كم قبلته شفاه قبلنا سلفت
من الصحابة و الغر الميامين !
شعرت أني قد قبلت ثغرهم
وأنني هائم مثل السلاطين
أتيت بيتك في شوق و في لهف
و نشوة الحب للتقبيل تغريني
يا أهل (مكة) حيا الله عنصركم
أنتم كرام و من قوم وفيين
يا أهل (مكة) إني قد عرفتكم
أهل الصلاح و أهل الفضل و الدين

إني أكنّ لكم حبًا و عاطفةً
و صادق الود في عُمق و تمكين
ما فكر القلب يومًا في سلوكم
لا والذي خلق الإنسان من طين
لكم وددت بأن أحظى بقربكم
وأن أكون كليلى للمحبين
هل تذكرون لقاءً ضم صفوتكم ؟
وإن قلبي فيكم جد مفتون
و كم قضينا سويعات السرور معًا
و الدهر ذو شدة حينًا و ذو لين
أحباب قلبي أنتم منتهى أملي
و كم تمشى هواكم في شراييني !
إن لم تريحوا فؤادًا من هواجسه
فمن لقلب طويل البث محزون ؟
يا جيرة (البيت) إن الله فضلكم
و أهل طيبة بالتقوى و بالدين
عرفتكم فعرفت الفضل شيمتكم
و نلت بركم كل الأحايين
و كم غمرتم نفوسًا في محبتكم
لازلتم موئلا لكل مسكين
لا عيب فيكم سوى أن الغريب بكم
يقضى الليالي في أنس وفي لين
صلى الإله على الهادي وعترته
(محمد) صاحب الأخلاق في (نون)

****

إلى رحمة الله تعالى

* * *

١- فضيلة المفتي الشيخ محمود الحسن في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

فقدت الأوساط العلمية والدينية في الهند شخصية كبيرة ذات منصب عال في العلم والتربية ومكانة فريدة بين علماء الهند اليوم ، وهي شخصية فضيلة الشيخ المفتي محمود الحسن الكنكوهي الذي قُدر له أن يتربي على كبار العلماء والفضلاء ويستقى من ينابيع علمهم الثرة، ومناهل فضلهم العذبة ، حتى أكرمه الله تعالى بالعلم والفضل والنظرة الواسعة .

وافاه الأجل في جنوب افريقيا حيث كان في رحلة دينية مع تلاميذه والمعجبين به منذ مدة قريبة ، وذلك في اليوم الثامن عشر من شهر ربيع الثاني ١٤١٧هـ (٣/من شهر سبتمبر١٩٩٦م) عن عمر يناهز ٩٢/عامًا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

إنه قام بتدريس العلوم الإسلامية كمدرس ناجح في عديد من مدارس الهند الشهيرة وانتقل في عام ١٣٨٤هـ إلى الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند ، على دعوة من مديرها المرحوم فضيلة الشيخ المقرئ محمد طيب القاسمي ، وشغل هناك منصب رئيس هيئة الإفتاء ، مع تدريس المواد المهمة للحديث والفقه ، وظل على هذا المنصب العلمي إلى آخر حياته حتى تجاوز عدد تلاميذ والمستفيدين منه مائة ألف .

و من أهم خصائصه أنه و إن كان يأخذ المرتب الشهري من دار العلوم ديوبند ، ولكنه كان يتبرع به مع زيادة شئ فيه لدار العلوم ديوبند ، فكان يستحق وعد الله في قوله : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ .

لقد كان الفقيد على جانب عظيم من الورع والتواضع والذكر والعبادة ، بالإضافة إلى حسن أخلاقه وشهامة نفسه ، وسمو فكره ، واستقبال الضيوف وحسن ضيافتهم ، كانت حياته نموذجًا لحياة السلف من العلماء الأفاضل ، ورجال العلم والدين .

تقبل الله منه صالح الأعمال التي قام بها ، وأكرمه بأحسن ما يجزي به عباده المؤمنين المخلصين العاملين ويجعل آخرته خيرًا من الأولى ، ويمطر عليه شآبيب رحمته ومغفرته ، ويحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

٢- الأستاذ علي حسن فدعق في ذمة الله تعالى

توفي العالم الأديب الأستاذ علي حسن فدعق في الأسبوع الأخير من شهر أغسطس ١٩٩٦م في منزله بجدة (المملكة العربية السعودية) بعد ما دام طريح الفراش إلى مدة ، وانعزل عن الحياة الاجتماعية والمجالس الأدبية التي كان يرأسها في يوم من الأيام ، ويشغل منصب عمدة البلدية لمدينة جدة ، وكانت له مكانة فريدة في الأدب والشعر ، وتنظيم الأمور بتعاون غال من المسئولين عن الحكومة الذين كانوا يضعون فيه ثقتهم ويرونه عاملاً قويًا من عوامل التقدم للمملكة العزيزة، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ السيد علي حسن فدعق من طلائع رواد النهضة الأدبية والثقافية في المملكة ، فكانت له إسهامات أدبية وتنظيمية ممتازة ساعدت كثيرًا في توسعة نطاق الأدب والشعر والثقافة وتنشئة جيل من الأدباء والشعراء والصحافيين والمثقفين الذين حظوا بالتوفيق والنجاح في هذا المجال .

حالف الراحل الكريم حظ في جمع لفيف من أصدقاء الأدباء والكتاب باسم النشاط الأدبي فكانوا نخبة ممتازة اجتمعوا تحت راية العلم والأدب والدين كان من بينهم الأستاذ عبد الغفور عطار والأستاذ سعيد العامودي والأستاذ محسن أحمد باروم بوجه خاص ، وذلك في أواخر الأربعينيات حينما سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي مع بعض أعضاء أسرته المحترمين ، وتسنى له اللقاء مع هؤلآء المجموعة الطيبة من الأدباء والكتاب وتم التعارف بينه وبينهم فأعجبوا به أيما إعجاب ، ومن هنالك توطدت علاقته بالفقيد الكريم الذي كان يجله من صميم قلبه ويزوره كلما قدم إلى المملكة العزيزة في مناسبة .

و أذكر أنه كان في رحلة إلى دول جنوب شرق آسيا في السبعينيات فجعل لكناؤ محطة له لكي يزور فيها سماحة العلامة الشيخ الندوي ، وبالتالي جامعة ندوة العلماء ، وهكذا كانت علاقته وثيقة مخلصة مع سماحته حتى إنه سمع نبأ وفاته يوم كان في جدة في رحلته الأخيرة ، ولو لا أن ظروف العودة إلى الهند في نفس اليوم كانت تفرض عليه الإسراع في الوصول إلى المطار لكان قد شارك في التوديع إلى مثواه الأخير.

رحمه الله رحمة واسعة وغفرله زلاته وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوة ولا حول ولا قوة إلا با لله العلي العظيم .

العدد القادم

بهذا العدد ينتهى -والحمد لله- المجلد الحادي والأربعون ،
ويبتدئ المجلدالثاني والأربعون -بمشيئة الله تعالى بالعدد القادم
الذي سيصدر بعد شهر - إن شاء الله تعالى - [التحرير]

Tel : 3 72336- 73864 Regd. No. LW/NP 59

MAJALLAH ALBAAS-EL-ISLAMI (MONTHLY)

NOVEMBER — DECEMBER — 1996

السيرة النبوية

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

صدرت الطبعة الحادية عشرة

مزيدة منقحة

كطبعة خاصة بالهند

يطلب من العنوان المذكور أدناه :

قام بطبعها :

المجمع الاسلامي العلمي

ص.ب: ١١٩ لكهنؤ (الهند)

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة باريك أوفست لكناؤ

من مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء - رئيس التحرير : سعيد الأعظمى